الخوارج

عقيدة.. وفكرًا.. وفلسفة

تأليف

دكتور عامر النجار

31

دار المعارف

31

ملك جمعية
أبي إسحاق إبراهيم الطبيش
لخدمة التراث

الخوارج

عقيدة .. وفكرا .. وفلسفة

تأليف

دكتور عامر النجار

الطبعة الرابعة

١٩٩٤

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الإهداء

إلى روح العالم الجليل:

الإمام الشيخ / مصطفى عبد الرازق

أرجو من الله تعالى له ولنا جميعًا الرحمة والمغفرة والقبول

اللهم آمين.. اللهم آمين

عامر النجار

المقدمة

موضوع الخوارج من الموضوعات التى شغلت بال كثير من مفكرى الإسلام وعلمائه ، وذلك لما لاحظوه من تطرّف وغلو فى بعض أفكار ومبادئ الخوارج ، مثل تكفيرهم مرتكبى الكبائر ، وحكمهم على مَنْ خالفهم بالكفر ، وجواز قتله ، وإنكارهم تحكيم الرِّجال ، وتبرِّيهم من عثمان وعلى رضى الله عنهما ، وَرَدِّهم السُّنة إذا لم يرد ما يؤيدها من القرآن صراحة ، فَهِمْ - كما يقول الإمام الجليل ابن تيمية رحمه الله - « لا يتمسكون من السُّنة إلّا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزانى ، ولا يرْوْن للسرقة نِصابًا » .

وبعد .. فهذه دراسة عن الخوارج وأهم مبادئهم ، وفرقهم ، مع مناقشتنا لأهم أفكارهم ومبادئهم فى ضوء الفكر الإسلامى الصحيح .

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عامر النجار

المبحث الأول

مدخل وتمهيد

١ - اختلاف المسلمين وأسبابه
٢ - كيف افترقت الأمة الإسلامية

أولاً: اختلاف المسلمين وأسبابه:

بداية نستطيع أن نقول إن المسلمين وقد اختلفوا فى اعتقاداتهم وسياساتهم وأمورهم الفقهية إلا أن هذه الاختلافات لم تكن فى أمر من أمور الدين معلومًا بالضرورة كتحريم الخمر ولحم الخنزير وأكل الميتة، ولم يمس هذا الاختلاف من قريب أو بعيد جوهر الدين الحنيف، فجميع المسلمين لا يختلفون فى أن الله واحد أحد فرد صمد فلا يشكون فى وحدانية الله تعالى وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ[1] ولا يشكون فى أن القرآن هو معجزة الرسول ﷺ وأنه وحيى الله المنزل إلى نبيه المصطفى ﷺ ولا يختلفون فى أصول الفرائض كالصلاة والزكاة والحج والصوم، وإنما الاختلاف فى أمور لا تمس أركان الدين وأصوله العامة.

وكأن رسول الله ﷺ كان يتنبأ بما سيقع للمسلمين من اختلاف وذلك لون من ألوان الإعجاز الحديثى الشريف. فقد روى «البخارى» عن «زينب بنت جحش» زوج الرسول ﷺ أنها قالت:

استيقظ النبى ﷺ محمرًا وجهه يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍّ

(١) لا تعد السبأية من الفرق الإسلامية لأنها من الطوائف الذين عملوا على هدم قواعد الإسلام كما سنبين بإذن الله.

قد اقترب» وفى هذا إشارة نبوية شريفة إلى ما جرى بين المسلمين من اختلاف بعده[١].

ويروى أن النبى ﷺ قال:

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة».

ولقد تكلم العلماء فى صحة هذا الحديث الذى روى بعدة طرق وروايات متعددة وقال المقبلى فى كتابه العلم الشامخ «وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة، يشد بعضها بعضًا بحيث لا تبقى ريبة فى حاصل معناه.. ولفظ حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل. تفرّق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة، كُلُّهُنَّ فى النار إلا ملّة واحدة». قالوا يارسول الله، من الملة الواحدة؟.. قال: «ما أنا عليه وأصحابى»[٢] وفى تفسير الفخر الرازى[٣] روى عن رسول الله ﷺ أنه قال «تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة واحدة» قالوا يارسول الله من تلك الفرقة الناجية؟ قال: «الجماعة الجماعة الجماعة..» فتبين بهذا الخبر أن المراد بقوله تعالى: ﴿وأن هذه

(١) ينبغى أن نلاحظ أنه إذا كان الاختلاف فى الأمور العقدية شرًا إلا أن الاختلاف الفقهى والاجتهاد فى غير ما جاء به نص من الكتاب والسنّة لم يكن شرًا ولم يكن افتراقًا بل كان خلافًا فى النظر. يقول عمر بن عبد العزيز «ما أحب أنّ أصحاب رسول الله ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحدًا لكان الناس فى ضيق وأنهم أئمةٌ يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة» الاعتصام للشاطبى جـ٣ ص ١١.

(٢) نلاحظ أن كتّاب الفرق الإسلامية مثل البغدادى والشهرستانى كافحوا بطريقة غريبة عجيبة حتى يجعلوا عدد فرق الإسلام مثل العدد المنصوص عليه فى الحديث.

(٣) اشتبه فى صحة هذا الحديث الإمام فخر الدين الرازى م ١٢٠٩ فى تفسيره «مفاتيح الغيب» جـ٢٢ : ٢١٨ فى تفسير سورة الأنبياء الآيتين ٩٢ : ٩٣ ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون. وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾.

أمتكم﴾ الجماعة المتمسكة بما بينه الله تعالى فى هذه السورة من التوحيد والنبوات، وأن فى قول الرسول ﷺ فى الناجية إنها الجماعة إشارة إلى أن هذه أشار بها إلى أمة الإيمان وإلا كان قوله فى تعريف الفرقة الناجية إنها الجماعة لغوًا إذ لا فرقة تمسكت بباطل أو بحق إلّا وهى جماعة من حيث العدد. وطعن بعضهم فى صحة هذا الخبر، فقال إن أراد بالثنتين والسبعين فرقة أصول الأديان فلم يبلغ هذا القدر، وإن أراد الفروع فإنها تتجاوز هذا القدر إلى أضعاف ذلك، وقيل أيضًا قد روى ضد ذلك، وهو أنها كلها ناجية إلا فرقة واحدة. والجواب - كما يرى الرازى - المراد ستفترق أمتى فى حال ما وليس فيه دلالة على افتراقها فى سائر الأحوال لا يجوز أن يزيد وينقص[١].

وإننا نرى أيضًا أن فرق المسلمين الاثنين والسبعين ليسوا كفارًا فالرسول ﷺ يقول: «وتفترق أمتى» وهذا يعنى أن هذه الفرقة من أمة محمد ﷺ لم يخرجوا عن أمتة وإن فسقوا وانحرفوا وضلوا عن الصراط ولذلك فهم ليسوا مخلدين فى النار كالكافرين والمشركين.. أما من كفر من هذه الأمة كفرا

(١) المرجع السابق ص ٢١٩ جـ٢٢ تفسير الرازى طبعة إحياء التراث العربى.

يقول فيليب حتى «وللعلماء العصريين نظريات فى أصل هذا الحديث وكيفية نشوئه. فمنهم «بالجريف» Palgrave الذى أرجع فرق النصارى الاثنتين والسبعين إلى تلامذة المسيح الاثنتين - والسبعين المنصوص عليهم فى العهد الجديد، وشتنشنيدر Steinschneider فى مجلة المستشرقين الألمانية ZDMG مجلد ٤ ص ١٤٧ الذى رد القول بفرق اليهود الإحدى والسبعين إلى رواية العهد القديم بشأن انتخاب موسى سبعين رجلاً من بنى إسرائيل، وجولد زهير Goldzilrer

Le Dog me et la loi de l'islam: page 157. Revue de lzhistoire de Religions: part 26. page 129.

أن الحديث فى وضعه الأصح إنما هو الحديث الوارد للمرة الأولى فى صحيح البخارى ١:٨ «الإيمان بضع وستون شعبة والحياة شعبة من الإيمان» «وأنه يتوالى الأعوام أشىء فهم المقصود من «شعبة» فصيلة وحرّف الحديث بحيث أصبح ما هو عليه».

فيليب حتى هامش [مختصر كتاب الفرق بين الفرق «للرّسْعَنى]. ص ١٥.

والحقيقة أن هذه وجهة نظر مستشرقين غير موضوعيين فحديث «افتراق الأمة على ثلاث وسبعين له أسانيد كثيرة وطرق متعددة، وقد رواه عن النبى ﷺ عدة من الصحابة كأنس ابن مالك، وأبى هريرة وأبى الدرداء، وجابر، وأبى سعيد الخدرى، وأبى بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم. وكلهم متفقون على رواية الحديث.

صريحا بواحا وخالف قواعد الدين وأركانه فهو كافر بما أنزل على محمد وخرج من الفرقة الاثنيتين والسبعين وخرج من أمة محمد. ومن أمثال هؤلاء الخارجين النصيرية [العلوية] والقرامطة والإسماعيلية والدروز والقاديانية والبهائية والبابية ومن الفرقة الباطنية الكافرة المعاصرة فى أمريكا وتنتسب إلى الإسلام بهتانا وزورًا فرق تسمى الأليجية والفرهخاتية» و «جمعية أنصار الله». ومن الخوارج اليزيدية والميمونية.

أهم أسباب الاختلاف بين المسلمين بعد النبى ﷺ:

هناك أسباب عديدة لاختلاف المسلمين بعد النبى ﷺ منها كما يرى مولانا الشيخ محمد أبو زهرة[1] «العصبية العربية» مع أن الإسلام حارب العصبية فيقول تعالى: ﴿يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾ والرسول ﷺ يقول «ليس منا من دعا إلى عصبية». ويقول «كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».

وقد اختفت العصبية فى عصر النبى ﷺ بهذه البينات الواضحات واستمر اختفاؤها إلى عصر الخليفة الشهيد «عثمان بن عِفان»، ثم انبعثت فى آخر عهده قوية عنيفة، وكان انبعاثها له أثر فى الاختلاف بين «الأمويين» و «الهاشميين أولاً، ثم الاختلاف بين «الخوارج» وغيرهم، فقد كانت القبائل التى انتشر فيها مذهب «الخوارج» من القبائل «الرِّبْعية»، لا من القبائل «المُضَرية»، والنزاع بين الرِّبعيين والمُضَرِيين معروف فى العصر الجاهلى، فلما جاء الإسلام أخفاه، حتى ظهر فى نحلة الخوارج.

(١) فى كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ فى السياسة والعقائد ص ١١ وما بعدها باختصار.

ومنها التنازع على الخلافة:

وقد انبعث ذلك النوع من الخلاف عقب وفاة النبى ﷺ مباشرة، فقد قال الأنصار نحن آوينا ونصرنا فنحن أحق بالخلافة. وقال المهاجرون. نحن أسبق إلى الإسلام، فنحن أحق. ولكن قوة إيمان «الأنصار» حسمت الخلاف، ولم يظهر له أى أثر، وقد اشتدت الخلافات بعد ذلك حول الخلافة. من يكون أحق بها؟ أيكون من «قريش» جمعاء، أم يكون من أولاد على خاصة، أم يكون من المسلمين أجمعين: لا فرق بين قبيل وقبيل، وبيت وبيت؟ فالجميع أمام الله تعالى سواء، والله يقول: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ والنبى ﷺ يقول «لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى».

وهكذا انقسم المسلمون إلى «خوارج» و«شيعة» وجماعات أُخر.

وأيضًا من أسباب اختلاف المسلمين، مجاورتهم لكثيرين من أهل الديانات القديمة ودخول بعضهم فى الإسلام.

فقد دخل فى الإسلام يهود ونصارى ومجوس، وكان بعضهم يفكر فى الحقائق الإسلامية على ضوء اعتقاداتهم القديمة فأثار بين المسلمين ما كان يثار فى ديانتهم من الكلام فى الجبر والاختيار، وصفات الله تعالى. أهى شىء غير الذات أم هى والذات شىء واحد.

وهناك أيضًا من دخل الإسلام ظاهرًا وأبطن الكفر وما كان دخوله الإسلام إلا ليفسد على المسلمين أمور دينهم الحنيف، ويبث فيه الأفكار المنحرفة ويقول فى هذا المقام ابن حزم فى كتابه الفصل[1].

«والأصل فى خروج أكثر هذه الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانوا من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة النظر فى أنفسهم حتى كإنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون جميع الناس

(١) الفصل لابن حزم جـ ٢ ص ٩١.

عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطرًا، تعاظمت الأمور، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات كثيرة، ففى كل ذلك كان يظهر الله الحق.. فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة آل البيت، واستشناع ظلم على رضى الله عنه حتى أخرجوهم عن الإسلام.

وهذا الكلام وإن كان قد اقتصر فى المثال على التشيع كما يقول المرحوم الشيخ أبو زهرة، كالذى كان يفعله السبئية، فإنه أيضًا ينطبق على كثير من الطوائف الأخرى، ففى كل فرقة كان من هؤلاء، كابن الراوندى فى المعتزلة، و«المشبهة» و «المجسمة» فى غيرهم.

وأيضًا من أسباب الاختلاف ورود المتشابه فى القرآن.

يقول تعالى: ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات، هن أم الكتاب، وأخر متشابهات، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به، كل من عند ربنا وما يذّكر إلا أولو الألباب﴾ آل عمران: ٧.

بهذه الآية ثبت ورود المتشابه فى القرآن الكريم، ليختبر الله سبحانه وتعالى قوة الإيمان فى المؤمنين، وقد كان وروده سببًا فى اختلاف العلماء فى مواضع المتشابهات من القرآن الكريم، وحاول كثيرون من ذوى الأفهام تأويله، والوصول إلى إدراك حقيقة معناه، فاختلفوا فى التأويل اختلافًا مبينًا، ومن العلماء من أرادوا أن يجعلوا بينها وبينهم حجابًا مستورًا، فيما كانوا يؤولون، بل كانوا يتوقفون ويقولون: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة﴾.

ومن أسباب الاختلاف التعرض لبحث كثير من المسائل المختلف فيها. وذلك نتيجة شيوع التفكير الكلامى والفلسفى بين علماء المسلمين فى إثبات العقائد والحجاج والدفاع عن العقيدة، وقد جرهم ذلك إلى دراسة مسائل ليس فى استطاعة العقل البشرى أن يصل إلى نتائج مقررة ثابتة

فيها، كمسألة إثبات صفات الله تعالى ونفيها، ومسألة قدرة العبد بجوار قدرة الرب، وغير ذلك من المسائل التى تختلف فيها الأنظار وتتباين المسالك، ويتجه كُلٌّ اتجاهًا يخالف الآخر. وقد أشرنا من قبل إلى ذلك.

ثانيًا: كيف افترقت الأمة الإسلامية:

مات رسول الله ﷺ وقد ترك أمته الإسلامية على المحجة البيضاء تاركًا فيهم كتاب الله وسنته المطهرة ولو أن أمة القرآن فهمت ووعت ما فى القرآن من دعوة إلى الاعتصام بحبل الله جميعًا وعدم التفرق والحذر من أعدائهم وأعداء دينهم الحنيف، ولو أنهم ابتعدوا عن الأهواء والعصبية والمطامع والمآرب ما تفرقوا أبدًا إلى شيع وفرق.

ولعل أول خلاف وقع بينهم هو خلافهم فى موت رسول الله ﷺ فأنكر بعضهم موته وقالوا إنه لم يمت وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام. وقد حسم هذا الخلاف حين تلا الصديق رضى الله عنه قول الله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [٣٩: ٣١].

وقال لهم قولته المشهورة: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات. ومن كان يعبد ربّ محمد فإن رب محمد حى لا يموت».

وكان اختلاف المسلمين الثانى يدور بينهم حول موضع دفنه الشريف ﷺ. فهناك من أشار بدفنه بمكة المكرمة حيث مولده ونشأته وصباه ومبعث رسالته الشريفة وحيث قبلة المسلمين وبيت الله الحرام وقبر جده إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام. وأشار أهل المدينة بدفنه بالمدينة المنورة التى أعزت الإسلام ونصرت الرسول ﷺ. وأشارت طائفة أخرى بنقله ودفنه بالأرض المقدسة عند قبر جده إبراهيم عليه السلام. ومرّة ثانية يحسم الصديق هذا الخلاف بما رواه عن الرسول ﷺ «إن الأنبياء يدفنون حيث يُقبضون». فدفنوا رسول الإنسانية جمعاء فى حجرته الشريفة.

ثم كان هناك أضخم وأخطر مشكل واجه الإسلام بل ظل يواجهه فى سائر

عصوره وهو مشكل الإمامة. فبعد وفاته ﷺ قال القرشيون إن الإمامة لا تكون إلا فى قريش. وقال الأنصار نحن الذين ناصرنا الرسول وأيدناه ودعوا إلى مبايعة سعد بن عبادة الأنصارى. فلما سمع الأنصار قول الرسول ﷺ من حديثه الشريف «الأئمة من قريش» سلموا الأمر للمهاجرين وبايعوا الصديق التيمى القرشى. والصديق هو الذى قال فيه الرسول «لو كنت متخذًا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلًا» وهو صاحبه فى الهجرة وهو الذى نصر الرسول والإسلام فى مواقف كثيرة، وهو الذى أنابه عنه فى الصلاة فى مرضه الأخير.

ولم يكن «على» حاضرًا هذا الاجتماع الذى تم فيه اختيار الصديق أميرًا للمؤمنين وذلك لانشغاله وأهل بيته فى الإعداد لدفن رسول الله ﷺ فلما بلغه خبر البيعة تأثر بعض الوقت لأنه كان يرى بالذات أنه أَوْلى بالإمارة لأنه أول من أسلم وهو صبى، وأقرب الناس رحمًا لرسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ولجهاده المعروف فى سبيل الإسلام.

وقد قيل إن عليًا سأل عما حدث فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا له: احتجت قريش بأنها شجرة الرسول ﷺ فقال علىّ «احتجوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة».

ولم يبايع الإمام علىّ أبا بكر الصديق إلّا بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء. وقيل فى رواية أخرى أنه بايع بعد أربعين يومًا[1] ومن المحتمل أن يكون

(١) ومن الروايات الشهيرة فى تخلف علىّ وبنى هاشم عن المبايعة لأبى بكر ما أورده ابن قتيبة فى كتابه «الإمامة والسياسة» وذكره الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه عن أبى بكر الصديق جـ١ ص٦٢ و ٦٤: باختصار تقول الرواية أن عمر بن الخطاب ذهب فى عصابة إلى بنى هاشم بعد أن تمت البيعة لأبى بكر، وطلب إليهم أن يخرجوا فيبايعوا كما بايع الناس، وكان بنو هاشم فى بيت على. وقد أبوا وأبى من كان معهم أن يجيبوا دعوة عمر، بل خرج الزبير بن العوام إلى عمر وأصحابه بالسيف. قال عمر لأصحابه: عليكم بالرجل فخذوه، فأخذوا السيف من يده، فانطلق فبايع. وقيل لعلى بن أبى طالب: بايع أبا بكر، فقال: «لا أبايعكم وأنا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لى. أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليه بالقرابة من=

السبب فى ذلك موضوع «فَدَك» ذلك أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها

= النبى ﷺ وتأخذونه منا أهل البيت غصبًا. ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإماره. فإذا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار. ونحن أولى برسول الله حيًا وميتًا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلّا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون».

قال عمر: «إنك لست متروكًا حتى تبايع».

وأجاب على فى حرارة وقوة: «احلُبْ حلبًا لك شطره، وشدَّ له اليوم يرددە عليك غدًا، والله يا عمر لا اقبلُ قولك ولا أبايعه». وخشى أبو بكر أن يبلغ الحوار بينهما العنف، فتدخل بين الرجلين وقال: «فإن لم تبايع فلا أكرهك». وتوجه أبو عبيدة بن الجراح إلى علىّ متلطفًا فقال: «يا بن عم، إنك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشد احتمالًا واستطلاعًا، فسلّم لأبى بكر هذا الأمر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك».

هنا ثار علىّ وقال: «والله الله يا معشر المهاجرين! لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره ومقر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعوا أهله عن مقامه فى الناس وحقه. فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت. ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه فى دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، الدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية. والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدًا» هذا وينكر بعض المؤرخين هذا المشهور من تخلف بنى هاشم أو غيرهم من المهارجين إنكارًا صريحًا. ويذكرون أن أبا بكر بويع بعد السقيفة بإجماع لم يتوقعه أحد. روى الطبرى حديثًا بإسناده أن سعيد بن زيد سئل: أشهدْت وفاة رسول الله ﷺ قال نعم، قيل: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة. قيل: أخالف عليه أحد؟ قال: لا ، إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله عز وجل تنقذهم من الأنصار. قيل: فهل قعد أحد من المهاجرين؟ قال: لا تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم.

وفى رواية أن علىّ بن أبى طالب كان فى بيته إذ جاءه من أنبأه أن أبا بكر قد جلس للبيعة فخرج فى قميص له ما عليه إزار ولا رداء عجلًا كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه، ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه.

وتجرى بعض الروايات فى أمر على وبيعته مجرى وسطًا. من ذلك ما قيل من أن أبا بكر صعد المنبر عقب البيعة فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير، فدعا به فجاء فقال: له ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه. ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليًا. دعا به فجاء فقال له: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه».

والعباس عم رسول الله ﷺ أتيا أبا بكر بعد استخلافه يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ فى أرض فَدَك وفى سهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر: «أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة. إنما يأكل أهل محمد فى هذا المال. وإنى والله لا أدع أمرًا رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته». فغضبت فاطمة لذلك وهجرت أبا بكر. وقد مكثت فاطمة ستة أشهر بعد وفاة أبيها. وكان علىّ يغاضب أبا بكر غضبًا لفاطمة زوجه. فلما ماتت مال إلى مصالحته وصالحه.

أما الذين ينفون التخلف عن بيعة أبى بكر فيرون أن روايات هذا التخلف مختلقة وموضوعة، وضعت فى عهد العباسيين لأهداف سياسية، أما معظمهم فيرجحون أنها وضعت قبل عهد العباسيين، ومنذ اختلف بنو هاشم وبنو أمية على الأمر إبان حروب الإمام على ومعاوية بن أبى سفيان. وهؤلاء يقولون «إن امتداد الفتح إلى العراق وفارس أدى بجماعة من الفرس لابتداع هذه الأقاويل. وقد اسْتَجَمَّتْ هذه الجماعة من الفرس بعد انتصار الأمويين وأقامت فى استجمامها تتحين الفرص حتى تهيأت لأبى مسلم الخراسانى، فكان من أمره وأمر العباسيين ما كان»..[1].

وإذا كان المسلمون قد افترقوا عند موت النبى وعند دفنه وفى مسألة الإمامة وفى مسألة ميراث الأنبياء و «فدك»، فإنهم اختلفوا بعد ذلك فى قتال مانعى الزكاة فى عهد أبى بكر ثم أجمعوا أمرهم مع أبى بكر الصديق على ضرورة قتالهم حين قال قولته المشهورة: «والله لو منعونى عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه». وحين قال عمر ابن الخطاب: «كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله». فرد عليه الصديق قائلًا: «والله لأقتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة. فإن الزكاة حق المَال»، وقد قال: «إلا بحقها».

(١) الصديق أبو بكر لهيكل ص ٦٧.

ويقال إن عمر قال: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

واختلف المسلمون بعد ذلك فى شأن عثمان بن عفان رضى الله عنه، وحدث فى عهده فتن لها أسباب كثيرة يوضحها الإمام الشيخ محمد أبو زهرة منها[1].

١ - سماحه لكبار المهاجرين والمجاهدين الأولين بالذهاب إلى الأمصار فإن أولئك انسابوا فى الأقاليم الإسلامية بعد أن كان «عمر» رضى الله عنه قد منعهم من الخروج من المدينة إلاّ لولاية يتولونها أو لقيادة جيش يقودونه، وكان منعه لهم سببه أنه يريد أن ينتفع بهم، وخشية أن يفتن الناس بهم، وأن ينقدوا الحكام بما لهم من سابقة، فأبقاهم عنده لينتفع هو بنقدهم.

فلما أذن لهم عثمان رضى الله عنه كان منهم نقد للخليفة، ونقد للحكام وانظر إلى ما كان يقوله «أبو ذر الغفارى»، فإنه يروى أنه كان يقول بالشام: «والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها.. والله ما هى من كتاب الله، ولا سُنّة نبيه... والله إنى لأرى حقًا يطفأ، وباطلًا يحيا وصادقًا مكذبًا، وأثرة بغير تقى ومالاً مستأثرًا به».

ولذا قال «حبيب الفهرى» لمعاوية: إن أبا ذرّ لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة، فشكا «معاوية» «أبا ذر» إلى عثمان فأحضره إلى المدينة، ثم نفاه إلى «الربذة».

وإذا كان «أبو ذر» قد تدورك فى الشام، فلا شك أن غيره أثر أثره فى غير الشام، وإن فى السامعين أقوامًا حديثى عهد بكفر، ولم تشرب قلوبهم حب الإسلام، وفيهم من يدعون إلى الفتنة، وفى غيرهم سماعون لهم.

٢ - ومن أسباب الفتنة فى عهد عثمان اشتهار سيدنا عثمان رضى الله عنه بحبه لقرابته - وليس فى ذلك إثم ولا لوم - ولكنه ولّاهُم وقربهم وكان

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية جـ١ للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٧، ٣٠ باختصار.

يستشيرهم فى كثير من شئون الدولة، وفيهم من ليس أهلاً للثقة، وكان بعض أقاربه يحرضون سيدنا عثمان على عدم الالتفات إلى لوم اللائمين، ونقد الناقدين. يروى فى ذلك أن عثمان لما أحاط به الذين تألبوا عليه، وجاءوا إليه من «مصر» و«الكوفة» استعان بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى صرف المصريين، فصرفهم، وأشار عليه على بأن يكلم الناس بكلام يسمعونه، يشهد الله على ما فى قلبه من النزوع والإنابة، فتكلم بكلام، وفَرَقّ له الناس، وبكى كثيرون منهم، وارتدت القلوب الشاردة، ولكن «مروان ابن الحكم» جاء إليه، وقال له: بأبى أنت وأمى، والله لو ددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضى بها، وأعانك عليها، ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين[١]، وخلف السيل الزبى[٢]، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل، والله لإقامة على خطيئة يستغفر منها، أجمل من توبة تخوف عليها، وإنك إن شئت تقربت بالتوبة، ولم تقر بالخطيئة، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس، فقال عثمان فاخرجْ إليهم، فكلمهم فإنى لأستحيى أن أكلمهم، فخرج مروان بن الحكم إلى الباب، والناس يركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم فقد اجتمعتم كأنكم اجتمعتم لنهب، شاهت الوجوه، كل إنسان أخذ بأذن صاحبه، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا. أخرجوا عنا. والله لئن رميتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم، ولا تحمدوا غب رأيكم... ارجعوا إلى منازلكم، فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما فى أيدينا»[٣].

ولقد كان من نتائج هذا توليته ولاة من أقاربه، وبعض هؤلاء لم يكونوا من ذوى السبق فى الإسلام وبعضهم كان النبى ﷺ قد أباح دمه، إذ ارتد بعد إيمان كعبد الله بن سعد بن أبى السرح» وقد ولّاه بعد «عمرو ابن العاص» وقد أخذ هذا يؤلب الناس على عثمان بسبب ذلك حتى كان يقول: «والله إن كنت لألقى الراعى فأحرضه عليه». وانتشرت بتولية «عبد الله» قالة السوء عنه،

(١) الطُبى: بضم الطاء وكسرها حلمة الثدى، وبلغ الحزام الطبيين مثل يضرب للشدة.

(٢) الزبى: المرتفعات من الأرض.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ نقلا عن الطبرى جـ٥ ص ١١٢.

إذ أخذ الناس يتحدثون عنه، وهو الرجل الذى آمن ثم كفر، ثم كذب على رسول الله ﷺ.

ولم يكن عبد الله بن أبى السرح كيسًا رحيمًا، بل كان غليظًا قاسيًا وجريئًا فى مخالفة عثمان. ولا شك أن فعل مثل هذا الوالى من شأنه أن يثير النقمة على أمير المؤمنين سيدنا عثمان رضى الله عنه وقد كان، فإن المصريين كانوا أول الناس انتقاضًا وذهابًا إلى المدينة، لمحاصرة سيدنا عثمان رضى الله عنه. فإن فعل ابن أبى السرح هذا يجعل الناس ييئسون من إقامة العدل. وفى اليأس من العدل فتح باب الشر والفتن، والقتل والقتال، إذ الشعور بالعدل هو الحاجز الحصين دون الفتن.

ومن أسباب الخلاف أيضًا تساهل ولين سيدنا عثمان رضى الله عنه، فتساهله مع عماله - ولم يكن بعضهم عدلًا - جعل الناس ييئسون من عدلِه، فلم يكن كعمر حازمًا مع ولاته، وخصوصًا فى معاملتهم للرعية، وكان شعار عمر: خير لى أن أعزل كل يوم واليًا، من أن أبقى واليًا ظالمًا ساعة من زمان.

ولم يكن عثمان رضى الله عنه حازمًا مع الذين ثاروا عليه وهاجموا داره، وحصبوه وهو على المنبر، ولو أنه أخذ أولئك العصاة بالشدة عندما تحركت رؤوس بالانتفاض والفتنة، حتى يعلموا أن الفتنة ليست وسيلة للعلاج، ثم بعد ذلك يرد الحق إلى نصابه. ويعزل الولاة الظالمين - لأدّى ذلك إلى نجاته، وإلى استتباب أمن المسلمين وحسم الخلاف. ولقد كان عظماء الصحابة على استعداد لنصرته، وكلما هموا بحمل السلاح ثبطهم، وقد منعهم سيدنا عثمان رضى الله عنه إيثارًا للعافية. ومنعًا للقتل والقتال بين المسلمين. فكان هو رضى الله عنه أول فداء. وكان قتله ابتداء بلاء للمسلمين، وفتح باب فتنة أخذت تموج كموج البحر.

ومن أسباب الخلاف بين المسلمين وجود طوائف من الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، وقد دخلوا الإسلام ظاهرًا وأضمروا الكفر باطنًا، فأخذوا يشيعون السوء عن ذى النورين عثمان، ويذكرون على بن أبى طالب

رضى الله عنه بالخير. وينشرون روح النقمة فى البلاد ويتخذون مما يفعله بعض الولاة ذريعة لدعايتهم، وكان الطاغوت الأكبر لهؤلاء «عبد الله ابن سبأ»، وقد قال فيه ابن جرير الطبرى: كان «عبد الله ابن سبأ» يهودياً من أهل صنعاء، أمه أمة سوداء فأسلم زمان «عثمان» ثم تنقل فى بلدان المسلمين، يحاول ضلالهم، فبدأ ببلاد «الحجاز» ثم «البصرة» ثم «الشام» فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى «مصر» فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن «عيسى» يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع. وقد قال الله تعالى: ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾. ثم محمد أحق بالرجعة من عيسى.

ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبى ولكل نبى وصيى، وكان على وصى محمد. ثم قال: خاتم النبيين محمد وعلىّ خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصى رسول الله ﷺ، فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه، وأيدوه بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لتستميلوا الناس... فبث دعاته، وكان ما كان ممن استفسد فى الأمصار وكاتبوه، ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتبًا يضعونها فى عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك... وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون».

ومن ذلك يتضح لنا خطر عبد الله بن وهب بن سبأ على الإسلام فهو أول من أحدث القول بوصية رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب بالإمامة بالنص، وهو أول من أحدث القول برجعة على رضى الله عنه إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله ﷺ أيضًا.

وهو أول من أحدث القول بأن عليًا رضى الله عنه لم يقتل، وأنه لا يزال حيًا، وأنه يسكن السحاب وأن الرعد صوته، وأن البرق سوطُه وأن فيه جزءًا

إلهيًا وأنه لا بد أن ينزل إلى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جَوْرًا، وأثر اليهودية واضح فى هذه المسائل وهكذا استطاع عبد الله بن سبأ اليهودى أن يبث سمومه وأفكاره الخطيرة فى الفكر الإسلامى[1] فأما الرافضة فإن السبئية منهم من قال للإمام على أنت الإله فأحرق منهم من أحرق ونفى ابن سبأ إلى سـابـاط المـدائـن.

وقد افترقت الروافض بعد على رضى الله عنه ألى أربعة فرق: زيـدية[2]،

---

(١) كان لتعاليم ابن سبأ أثر كبير فى أفكار الغلاة من الرافضة والشيعة. فالأسماعلية مثلًا يقولون بأن الإمامة محصورة فى ولد اسماعيل بن جعفر الصادق.

وبعض الإمامية يذهبون إلى القول بغيبة الإمام ورجعته إلى الدنيا بعد الموت، وهو ما يشير إليه قول كثير عزة:

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيلَ يقدُمها اللواء
تغيب لا يُرى فيهم زمانًا ... برضوى عنده عسل وماء

(٢) الزيدية من الرافضة معظمها ثلاث فرق وهى: الجارودية والسليمانية - وقد يقال لها الجريرية والابترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى أيام خروجه فى زمان هشام بن عبد الملك. وقد ظهرت الزيدية فى مبدأ القرن الثانى الهجرى. وكان الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك يخشى زيدًا على سلطانه بعد أن اتهمه أمير العراق بأنه يهدف إلى الخلافة.

ومذهب الزيدية أقرب مذاهب الشيعة إلى الجماعة الإسلامية لأنهم لم يغلوا فى عقائدهم ولم يكفر الأكثرون منهم أحدًا من الصحابة ولم ترفع الأئمة إلى درجة النبوة أو الألوهية ومن أهم مبادئ الزيدية: الإمامة فى أولاد فاطمة دون غيرهم ويشترط أن يكون فاطميًا وربما تقيًا سخيًا شجاعًا يخرج داعيًا الناس لنفسه. وتجب طاعته. ولا يقول بالتقية. والإمام عندهم منصوص عليه بالوصف لا بالاسم، والإمامة عند الزيدية من المصالح العامة التى تفوض إلى المسلمين لاختيار من يرونه صالحًا لها. كما يجوز خروج إمامين فى قطرين مختلفين دون قطر واحد. كما يجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل فلو اختار أهل الحل والعقد إمامًا لم يستوف الشروط وبايعوه صحت بيعته. وبنى على صحة هذا بيعة أبى بكر وعمر..وعثمان وإن كان عليًا أحق وأولى منهم. ولهذا لا يمنع أن يكون المفضول إمامًا والأفضل «قائم» يرجع إليه فى الأحكام ويفتى فى القضايا. لكن لما سمعت شيعة الكوفة منه ذلك رفضوا معاونته لما أعلن الخروج على بنى أمية فَسُمُّوا بالرافضة. ولم يجد زيد حوله عند الالتحام غير قلة قليلة فبات ثم صلب سنة ١٢١هـ. وكان يقول بتخليد مرتكب الكبيرة الذى مات ولم يتب فى النار وذلك أثر تلقاه عن واصل بن عطاء وهذا من أسباب خروج الشيعة عليه أيضًا.

وكيسانية[١]، وغلاة[٢] والغلاة خارجون عن الاسلام، وأما الزيدية أو الإمامية[٣] فمعدودون فى فرق الأمة.

(١) الكيسانية أتباع كيسان مولى على بن أبى طالب وهم فرق كثيرة ترجع عند التحصيل إلى فرقتين: إحداهما تزعم أن محمد بن الحنفية حى لم يمت، وهم على انتظاره، ويزعمون أنه المهدى المنتظر، والفرقة الثانية مُقِرون بإمامته وبموتهِ وينقلون الإمامة بعده إلى غيره.

(٢) فمن الغلاة من زعموا أن روح الله دارت فى الأنبياء حتى صارت فى (بيان بن إسماعيل التميمى) وأصحاب هذا الرأى يسمون (البيانية) ويزعمون أن الإمامة صارت إلى (بيان) بعد (ابن الحنفية) بوصية منه فيقولون بتناسخ روح الله تعالى دون أرواح العباد، وقد صلب خالد بن عبد الله القسرى، والى العراق (بيانًا) هذا. ومنهم (الجناحية) أتباع (عبد الله بن معاوية ذى الجناحين) كانوا يعتقدون أن روح الله دارت فى الأنبياء كما كانت فى على وأولاده وزعموا أن كل ما فى القرآن الكريم من تحريم الميتة والخمر ولحم الخنزير كناية عن قوم من أعداء على. ومنهم أيضًا (المفوضة) ينسب اليهم القول بأن الله خلق محمدًا عليه السلام وفوض إليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل كان التفويض إلى «علىّ» كرم الله وجهه.

وغلاة الشيعة هم الذين قالوا بإلهية الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة كالبيانية، والجناحية، والمفوضة وفرق أخرى عديدة منها المغيرية، والمنصورية، والخطابية والحلولية - فما هم من فرق الإسلام.

(٣) الإمامية: هم القائلون بأن إمامة على ثابتة بالنص عليه بالذات من النبى ﷺ نصًا ظاهرًا من غير تعريض بالوصف بل إشارة بالعين. وسموا إمامية لتركيز آرائهم حول الإمامة. وهم يقولون إن النبى ﷺ نص على تعيين علىّ لأنه ليس فى الدين أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقة النبى للدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، لأنه بعث لتقرير الوفاق ورفع الخلاف فلا يجوز أن يفارق ويتركهم هملًا ولهذا يستدلون على تعيين علىّ بن أبى طالب بقوله ﷺ «من كنت مولاه فعلى مولاه» ومثل «أفضلكم على» وغير ذلك مما يدعون صدقه ودلالته ويشك فيه بعض علماء الحديث الشريف.

فالإمامة عندهم ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها باختيار المسلمين، ولكنها ركن الدين وقاعدة الإسلام فلا يجوز للرسول إغفالها وإنما يجب عليه أن يعين إمامًا للمسلمين يكون معصومًا من الصغائر والكبائر.

والاعتراف بالإمام جزء من حقيقة الإيمان وبدونه يكون الشخص كافرًا.

ولم يقتصر الإمامية على القول باستحقاق على الخلافة دون سائر الصحابة بل حكموا على من تولى الخلافة غيره ومن بايعوه بمخالفة النصوص ووصفهوهم بالكفر وحكموا ببطلان خلافتهم لأنهم مغتصبون ظالمون.

وقد جعل «الإمامية» سلسلة الخلافة بعد على فى أولاد فاطمة وذرية الحسين.

ومن مبادئ الإمامية القول باختفاء الأئمة ورجعتهم. ومن مبادئهم أيضًا التقية: ومعناها المداراة =

وهكذا أخذت أفكار ابن سبأ المسمومة تنهش فى جسم الأمة الإسلامية وتعمل على تفرقتها وبذر الفرقة بينها. ونجحت فى صنع الخلاف وبذر معركة أصحاب الجمل، وصنعت فى صفين معركة، وكانت بذور سمومها واضحة فى مسألة الحكمين. وهذا هو الخلاف الخطير الحقيقى فى جسم الإسلام الذى أدى إلى انقسام المسلمين إلى «شيعة» على وهم الذين قالوا بخلافته نصًا وتعيينًا و «خوارج» وهم الذين خرجوا على علىّ لرضائه بالتحكيم. فأول فرق الإسلام هم الشيعة والخوارج ثم اختلفت الخوارج فصارت نحوًا من عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها.

وبين الشيعة والخوارج ظهرت فرقة جديدة هى المرجئة[١] وسبب نشأة

= والمصانعة، والمقصود منها عند الشيعة النظام السرى الذى يكتمونه عن الناس ويسيرون على تعاليمه فى الدعوة إلى إمامهم المنتظر وإظهار الطاعة لمن بيده الأمر حتى يأنسوا بقوتهم فيحملوا السلاح فى وجه الدولة القائمة.

والإمامية من فرق المسلمين لأنهم وإن خالفوا جماعة المسلمين فى بعض المسائل إلاَّ أن مخالفتهم لا تخرجهم أبدًا عن ملة الإسلام لأنهم يعترفون بالعقائد الإسلامية ومبادىء الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة.

وقد اتفق الإمامية على أن الإمام الأول عندهم على بن أبى طالب ثم ابنه الحسن ثم أخوه الحسين ثم ابنه على زين العابدين وليس للحسين عقب إلا منه والخامس محمد الباقر بن على زين العابدين ثم ابنه الإمام جعفر الصادق وبعد جعفر هذا بدأ انقسام الإمامية لاختلافهم فى تسلسل الأئمة إلى فرق متعددة.

فالإمامية خمس عشرة فرقة: المحمدية، والباقرية، والناووسية، والشُّميطية، والعمارية، والإسماعيلية، والمباركية، والموسوية، والقطعية، والأثنى عشرية، والهشامية من أتباع هشام بن الحكم أو هشام بن سالم الجواليقى، والزرارية من أتباع زرارة بن أعين، واليونسية. من أتباع يونس القُمّر، والشيطانية - من أتباع شيطان الطاق. والكاملية - من أتباع أبى كامل وهو أفحشهم قولاً فى علىّ وفى سائر الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) كلمة المرجئة مأخوذة من أرجأ بمعنى أمهل وأخر، سُمُّوا المرجئة لأنهم يرجئون أمر المختلفين الذين سفكوا الدماء الى يوم القيامة فلا يقضون بحكم لا على هؤلاء ولا على هؤلاء، وبعضهم يشتق اسمهم من أرجاء بمعنى بعث الرجاء لأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. والمرجئة خمس فرق: يونسية، وغسانية، وثوبانية، وتومنية، ومريسية. واتفق فى هذا التقسيم البغدادى والمقريزى (جـ ٢: ٣٤٩: ٣٥٠).

هذه الطائفة أنه لما انقسم أتباع سيدنا على بن أبى طالب، بسبب رضائه عن التحكيم، إلى خوارج وشيعة وكانت الخوارج يكفرون عليًا وعثمان والقائلين بالتحكيم والشيعة منهم من يكفر الصديق وعمر وعثمان، وكلاهما يكفر الأمويين. وكان ذلك سببًا فى أن جماعة من الصحابة كرهوا هذا النزاع وسلكوا طريقًا وسطًا حتى تنجلى الفتنة ولهذا امتنعوا عن الخوض فى شأن المتنازعين وأرجأوا الحكم فى شأنهم إلى الله سبحانه وتعالى. فلهذا سموا بالمرجئة.

ويقال إن أصحاب هذه الفكرة هم:

سعد بن أبى وقاص وعبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وعمران بن الحصين وحسان بن ثابت، وأبو بكرة، أما ابن عساكر فيقول عن المرجئة «إنهم هم الشكاك الذين شكوا وكانوا فى المغازى، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس بينهم اختلاف فقالوا تركناكم وأمركم واحد، ليس بينكم اختلاف وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول قتل عثمان مظلومًا، وكان أولى بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول كان علىّ أولى بالحق وأصحابه كلهم ثقة، وعندنا مصدق. فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما، ونرجئ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذى يحكم بينهما وهناك رأى آخر يقول إن أول من قال بالارجاء (هو الحسن بن محمد بن الحنفية) ولكنه لم يؤخر العمل عن الإيمان، بل قال إن أداء الطاعات وترك المعاصى ليسا من الإيمان فلا يزول بزوالها[١].

وقيل: أول من وضع الإرجاء بالبصرة (حسان بن بلال المزنى) وقيل: (أبو سلت السمان المتوفى ١٥٢ هـ)[٢].

(١) وظاهر من ذلك أن الحسن بن محمد بن الحنفية لا يذهب مذهب المرجئة من كل وجه.

(٢) ومن المرجئة طائفة الثوبانية أتباع (ثوبان) المرجئ الخارجى الذى يقول إن الإيمان هو المعرفة والإقرار ثم يقول إن الإيمان فعل ما يجب فى العقل فعله وهو هنا يقول بمذهب المعتزلة.
ومن المرجئة طائفة الضرارية أتباع (ضرار بن عمرو) الذى مع قوله بالارجاء يقول إن الله تعالى يُرى فى الآخرة بحاسة سادسة.

ونلاحظ أن المرجئة يبالغون فى إثبات الوعد[١] ويرجون المغفرة لأهل المعاصى. وهم يحكمون على مرتكب الكبيرة بأن أمره مفوض لربه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ويقولون بأن الإيمان تصديق ومعرفة ولهذا فإنهم لا يعيرون للعمل أدنى اهتمام. وقد تغالى بعضهم فزعم أن الإيمان اعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وعبد الأصنام أو لزم اليهودية أو النصرانية فى دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن. ولذا قال زيد بن على بن الحسن: (أبرأ من المرجئة الذى أطمعوا الفساق فى عفو الله).

وهكذا نلاحظ أن المرجئة كانت فى أول مبدئها رأيًا سياسيًا له موقفه فى الخلاف الذى نشأ حول الخلافة، ثم تطورت المرجئة إلى فرقة كلامية تبحث فى مسائل الإيمان والكفر ورأت أن الأعمال الظاهرة ليست جزءًا من الإيمان[٢].

وقالت المرجئة بأن لله وعدًا ووعيدًا وأن وعده لا يتخلف لأن الثواب الذى وعد الله به فضل منه، ولابد من أن يفى الله بوعده، على حين أن وعيد الله قد يتخلف، لأنه العقاب الذى توعد الله به عدل، ولله أن يتصرف فى عدله كما يشاء[٣].

وهكذا تفرق المسلمون طوائف واستطاع بعض الحاقدين على الإسلام وأعدائه أن ينجحوا فى تفريق المسلمين وبخاصة ذلك اليهودى الخبيث عبدالله ابن سبأ.

وإذا كان عبد الله بن سبأ اليهودى له دوره الخطير فى اختلاف المسلمين فإن رجلًا آخر نصرانى من أهل العراق يقال له سوسن كان له هو الآخر دور فى اختلاف المسلمين فقد أظهر سوسن الإسلام وصحب معبد ابن عبدالله الجهنى البصرى، وعلمه القول بالقدر[٤]، فكان معبد هذا أول رجل قال بالقدر

(١) عكس المعتزلة المبالغين فى إثبات الوعيد.

(٢) وهذا مخالف لما قالت به الخوارج من أن الإيمان هو معرفة الله ورسله وأداء الفرائض والامتناع عن الكبائر.

(٣) وهذا مخالف لما قالت به المعتزلة الذين يبالغون فى إثبات الوعيد كما قلنا.

(٤) افترقت القدرية الى عشرين فرقة: واصلية، وعمرية، والهذيلية، والنظامية، والأسوارية،=

فى الملة المحمدية[١]، وقدم مدينة الرسول ﷺ فأفسد عقول بعض الناس، فاشتعل أهل زمانه بتحذير الناس منه، وقد روى أن مسلم بن يسار كان يجلس إلى سارية فى المسجد يقول: إن معبدًا يقول بقول النصارى، ومازال كذلك حتى أخذه عبد الملك بن مروان فى سنة ثمانين فقتله وصلبه بدمشق[٢].

وقد أخذ عن معبد الجهنى غَيْلان بن مروان (أو ابن مسلم) الدمشقى فقال بالقدر خيره وشره: إنه من العبد، وقال فى الإمامة: «إنها تصلح فى غير قريش، وإن كلّ من كان قائمًا بالكتاب والسنة كان مستحقًا لها، وإنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة».

وغيلان الدمشقى ظل داعيًا للقدرية بالشام، وقد ناقشه عمر بن عبد العزيز، وكتب هو إليه كتبًا يدعوه فيها إلى التمسك بالعدل، ومن هذه الكتب كتاب أرسله إلى عمر جاء فيه:

«أبصرت يا عمر وما كدت، ونظرت وما كدت، إعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام خلقًا باليًا، ورسمًا عافيًا، فيا ميت بين الأموات، لا ترى أثرًا فتتبع. ولا تسمع صوتًا فتنتفع، طُغِى على السنّة، وظهرت البدعة، أخيف العالم فلا يتكلم، ولا يعطى الجاهل فيسأل وربما نجت الأمة بالإمام، وربما هلكت بالإمام، فانظر أى الإمامين أنت فإنه تعالى يقول: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ فهذا إمام هدى هو ومن اتبعه شريكان. وأما الآخر، فقال تعالى:

= والمعمرية، والإسكافية، والجعفرية، والبشرية، والمُرادية، والهشامية، والتامية، والجاحظية، وأصحاب صالح، والمونسية، والكعبية، والجبائية، والشحّامية، والبهشمية أو الهشيمية (المنسوبة الى أبى هاشم بن الجبائى) والخياطية، والحائطية، والحمارية. فهذه ثنتان وعشرون فرقة، ثنتان منها ليستا من فرق الاسلام وهما الحائطية والحمارية.

(١) يروى أن معبد بن خالد الجهنى سمع من يتعلل فى المعصية بالقدر، فقال فى الرد عليه: «لا قدر والأمر أنف» أى أن الأمور يستأنف العلم بها، وتستأنف بالتالى إرادتها، وكأنه بذلك نفى الإرادة الأزلية، ونفى العلم الأزلى القديم، وذلك ليخرج فعل الإنسان عن نطاق قدرة الخالق سبحانه وتعالى. فالقدرية قالوا بحرية الإرادة وقدرة الإنسان على أعماله. وقد رددوا هذا بالشام والعراق. والقدرية ضد الجبرية وقد مهدوا للمعتزلة وتلاشوا فيهم، بل إن المعتزلة يسموا أحيانًا بالقدرية.

(٢) الكامل لابن الأثير جـ ٤ ص ١٨٩.

﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون﴾ ولن تجد داعيًا يقول: «تعالوا إلى النار، إذن لا يتبعه أحد، ولكن الدعاة إلى النار هم الدعاة إلى معاصى الله سبحانه وتعالى فهل وجدت يا عمر حكيمًا يعيب ما يصنع، أو يصنع ما يعيب، أو يعذب على ما قضى، أو يقضى على ما يعذب عليه. أم هل وجدت رحيمًا يكلف العباد فوق الطاقة، أو يعذبهم على الطاعة، أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظالم، وهل وجدت صادقًا يحمل الناس على الكذب والتكاذب، كفى ببيان هذا بيانًا، وبالعمى عنه عمى»[١]. وروى أن عمر بن عبد العزيز دعاه وناقشه فى نحلته، وقطع حجته. فقال غيلان له: يا أمير المؤمنين. لقد جئتك ضالا فهديتنى، وأعمى فأبصرتنى، وجاهلاً فعلمتنى، والله لا أتكلم فى شىء من هذا الأمر، ولكن يظهر أنه عاد إلى دعوته بعد موت أمير المؤمنين، ويقال إن عمر بن عبد العزيز قال لغيلان أعنّى على ما أنا فيه، فقال له غيلان ولّنى بيع الخزائن ورد المظالم فولاّه، فكان يبيعها وينادى عليها قائلاً: «تعالوْا إلى متاع الخونة، تعالوا إلى متاع الظلمة، تعالوْا إلى متاع من خلف رسول الله ﷺ فى أمته بغير سنته وسيرته»[٢].

وبعد موت عمر بن عبد العزيز عاد غيلان إلى دعوته حتى جاء عهد هشام ابن عبد الملك وأحس هشام بخطر هذه الأفكار فوجدنا واليه بخراسان يقتل الجعد بن درهم لقوله إن القرآن مخلوق، وتتبع هشام أفكار غيلان، ولكنه يريد أن يقتله بحجة وبرهان ولهذا دعاه إلى مناقشة فقيه الشام الإمام الأوزاعى، فناقشه حتى قطعه كما جاء فى العقد الفريد وهذه هى المناقشة كما ذكرها صاحب «محاسن المساعى فى مناقب أبى عمر الأوزاعى»:

«كان على عهد هشام بن عبد الملك رجل قدرى [يقصد غيلان]، فبعث هشام إليه فقال له: قد كثر كلام الناس فيك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، ادع من شئت فيجادلنى، فإن أدركت على بذلك فقد أمكنتك من علاوتى [أى رقبتى ونفسى]، فقال هشام قد أنصفت.

(١) المنية والأمل للمرتضى.

(٢) المنية والأمل.

فبعث إلى الأوزاعى، فلما حضر قال له هشام: يا أبا عمر ناظر لنا هذا القدرى.

فقال الأوزاعى مخاطبًا غيلان اختر: إن شئت ثلاث كلمات وإن شئت أربع كلمات، وإن شئت واحدة.

فقال القدرى (غيلان): بل ثلاث كلمات.

فقال الأوزاعى: أخبرنى عن الله عز وجل هل قضى على ما نهى؟

فقال القدرى غيلان: ليس عندى فى هذا شىء.

فقال الأوزاعى: هذه واحدة، ثم قال: أخبرنى عن الله عز وجل أحال دون ما أمر.

فقال القدرى: هذه أشد من الأولى، ما عندى فى هذا شىء.

فقال الأوزاعى: هذه اثنتان يا أمير المؤمنين، ثم قال أخبرنى عن الله عز وجل: هل أعان على ما حرم؟

فقال القدرى غيلان: هذه أشد من الأولى والثانية، ما عندى فى هذا شىء.

فقال الأوزاعى: يا أمير المؤمنين هذه ثلاث كلمات. فأمر هشام فضربت عنقه.

ثم قال هشام للأوزاعى: فسر لنا هذه الكلمات الثلاث ما هى؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أما تعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى قضى على ما نهى، نهى آدم عن الأكل من الشجرة ثم قضى عليه بأكلها، فأكلها يا أمير المؤمنين.

أما تعلم أن الله تعالى حال دون ما أمر؟ أَمَر إبليس بالسجود لآدم ثم حال بينه وبين السجودُ.

أما تعلم ياأمير المؤمنين ان الله تعالى أعان على ما حرم حرّم الميتة والدم ولحم الخنزير، ثم أعان عليها بالاضطرار...

فقال هشام أخبرنى عن الواحدة ما كنت تقول له؟ قال كنت أقول له: أخبرنى عن الله عز وجل حيث خلقك، خلقك كما شاء، أو كما شئت؟ فإنه يقول: كما شاء. فأقول له: أخبرنى عن الله عز وجل، أيتوفاك، إذا شئت، أو إذا شاء، فإنه يقول إذا شاء، فأقول له أخبرنى عن الله عز وجل، إذا توفاك

أين تصير، أحيث شئت أم حيث شاء، فإنه كان يقول حيث شاء يا أمير المؤمنين، من لم يمكنه أن يحسن خلقه ولا يزيد فى رزقه، ولا يؤخر أجله، ولا يصير نفسه حيث شاء. فأى شىء فى يده من المشيئة يا أمير المؤمنين، إن القدرية ما رضوا بقول الله تعالى، ولا بقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار، ولا بقول الملائكة، ولا بقول أخيهم إبليس. فأما قول الله تعالى: ﴿فاجتباه ربه، فجعله من الصالحين﴾.

وأما قول الملائكة فهو ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾

وأما قول الأنبياء فقال شعيب عليه السلام ﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿لئن لم يهدنى ربّى لأكونن من القوم الضالين﴾.

وقال نوح عليه السلام: ﴿ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم﴾.

وأما قول أهل الجنة، فإنهم قالوا: ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾

وأما قول أهل النار فهو ﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾.

وأما قول إبليس فهو ﴿رب بما أغويتنى﴾.

وإننى أتفق مع مولانا الشيخ أبو زهرة فى قوله «وإن رواية هذه المناظرة إذا صحت (ولا مانع عندنا من قبولها) ليست مناظرة تساوى الطرفان فيها، بل كان أحدهما حرًا طليقًا فى إلقاء الأسئلة» والآخر ليس إلا أن يجيب من غير استفسار، فإما الإجابة وإما السيف، ويظهر من سياق القول أن الحكم بالإعدام، سبقها، فكانت تبريرًا للإعدام أمام الناس، ولم تكن سببه وباعثه. ومثله كمثل من يحكم ثم يسمع الشهادة لأجل تنفيذ الحكم. لا لأجل إصدار الحكم. ثم إن الأسئلة كلها تتجه نحو غاية واحدة تبلغ من الإبهام حدّ الإلغاز،

حتى إن هشامًا لم يفهم السؤال فى الأصل، ولو كان يريد الحق لاستفسر عن المعنى قبل أن يقتل، فكانت أشبه بالأحاجى منها بالأسئلة، ولم تكن إذن مناقشة. بل كانت تعلة تتخذ ذريعة للقتل الذى تقرر قبلها.

ومهما يكن الأمر فى هذه المناقشة، فإنها بلا ريب تدل على علم الأوزاعى الدقيق بالقرآن الكريم، وعلى أنه كان على استعداد لهذه المناقشة قبل وقوعها، وأنه أخذ الأهبة، وقد ساق فيها آيات قرآنية كريمة تدل بظاهرها على ما ينافى القدرية»[1].

وعلى العكس من القدرية نجد طائفة الجبرية وكان جهم بن صفوان «ت ٧٤٥ م» أول دعاة الجبرية، فذهب إلى أن أعمال الإنسان يخلقها الله. وكان يقول إن الإنسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة، وإن الله قدّر عليه أعمالاً لابد أن تصدر منه، فالله يخلق فيه الأفعال كما يخلق فى الجماد، وتنسب هذه الأفعال إلى الإنسان مجازًا كما تنسب إلى الجمادات. والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال جبر، والله قدّر لفلان فعل كذا وقدر له أن يثاب، وقدر على انسان آخر فعل المعصية وقدر أن يعاقب فالمجبرة أتباع جهم بن صفوان[2] يغالون فى نفى الاستطاعة عن الإنسان ويجعلونه كالريشة فى مهب الريح أو كأغصان الشجرة بينما المعتزلة يغالون فى إثبات الكسب للإنسان ومذهب أهل السنة وسط بين المذهبين.

وقال جهم بن صفوان بنفى صفات الله ذلك أنه وردت فى القرآن آيات كثيرة تدل على أن لله صفات من سمع وبصر وكلام. فنفى جهم أن يكون لله صفات غير ذاته، وقال إن ما ورد فى القرآن مثل سميع وبصير ليس على ظاهره، بل هو مؤول لأن ظاهره يدل على التشبيه بالمخلوق وهو مستحيل على الله، فيجب تأويل ذلك، وقال لا يصح وصف الله بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى التشبيه، وقال إن القرآن مخلوق خلقه الله، وكان ذلك نتيجة

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبو زهرة جـ ١ ص ١٢٩.

(٢) جهم بن صفوان الترمذى من أهل خراسان من الموالى وأقام بالكوفة وكان خطيبًا مفوهًا فصيحًا. وقد قتل فى سنة ١٣١ فى آخر الدولة الأموية.

طبيعية لنفيه الصفات فإذا كان الله لا يتكلم فليس القرآن كلام الله القديم إلا على التأويل، وإنما خلقه الله، وأنكر أن الله يُرَى يوم القيامة وقال «إن الجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلها فيها، وبعد تلذذ أهل الجنة بنعيمها، وتألم أهل النار بجحيمها، إذ لا يتصور حركات لا تتناهى آخرًا كما لا يتصور حركات لا تتناهى أولاً»[1].

ومعنى ذلك كله أن جهم بن صفوان كان ينفى الصفات الإلهية كلها وينفى رؤية الله ويزعم أن الجنة والنار تفنيان وتنقطع حركات أهلها محتجًا بأن عدم فنائها يتعارض مع معنى قوله تعالى ﴿وأحصى كل شيءٍ عددًا﴾.

وذلك مردود عليه.

فالفخر الرازى قال: «إن الله يعلم الشىء على ما هو عليه وكما هو فى نفسه فلما لم يكن لأجزاء غير المتناهى أجزاء متناهية امتنع أن يعلم الله كونها متناهية، يريد أن العلم بها على أنها غير متناهية هو العلم اللائق بالله تعالى ووافقه ابن حزم فى ذلك وزاد عليه أن من علم الشىء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطئ فى اعتقاده ظان للباطل، وعلم الله تعالى هو اليقين الحق.

وقد قال جهم بن صفوان إن من عرف الله ولم ينطق بكلمة التوحيد لا يكفر لأن العلم لا يزول بالصمت ولا بالجحود[2]، أى أنه يتفق مع المرجئة بأن الإيمان محله القلب. ومن قبل وجدناه نفى مع المعتزلة عن الله كل وصف يجوز إطلاقه على غيره، كالوجود والحياة والعلم، وجوز وصفه فقط بما يختص به من صفات الأفعال كالخلق، وذهب إلى أن كلام الله حادث.

ولقد ذابت القدرية والجهمية وانصهرتا فى غيرهما من المذاهب الكلامية الاسلامية ولم يصبح لهما وجودًا خاصًا مستقلاً.

هكذا بينا كيف اختلفت الأمة الإسلامية إلى فرق عديدة ومذاهب كلامية

(١) فجر الإسلام جـ ١ ص ٣٤٣ أحمد أمين.

(٢) وهذا مردود بأن الإيمان هو التصديق بالقلب بشرط الإقرار باللسان إذ الإقرار شطر منه. لقول رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».

متعددة ولعل الاطلاع على كتب يونان وفلسفاتهم كانت سببًا فى ظهور المدارس الكلامية الإسلامية. وكانت مدرسة المعتزلة الكلامية الامتداد الطبيعى إلى حد ما للقدرية[١] والجهمية. والرأى الشائع والمعروف أن اسم المعتزلة جاء نتيجة لخلاف حسن البصرى وواصل بن عطاء فى مسألة مرتكب الكبيرة، فالخوارج قالت بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وفَسَقوا بالكبائر، وخرج واصل بن عطاء عن رأى الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، فى منزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن من مجلسه، فاعتزل عنه، وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما «معتزلون» لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن.. ويذهب البغدادى إلى أنهم سموا معتزلة لأنهم اعتزلوا قول الأمة فى دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر.

لكن المعتزلة كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، أما العدل فلأنهم نزهوا الله عما يقوله خصومهم من أنه قدّر على الناس المعاصى ثم عذبهم عليها، وقالوا إن الإنسان حر فيما يفعل، ومن أجل هذا عُذِّب على ما يفعل وهذا عدل، وأما التوحيد فلأنهم نفوا صفات الله، وعدوا القول بها تقديرًا لله تعالى.

والمعتزلة من أشهر الفرق الإسلامية استدلالاً على عقائدهم بالعقل. ولا

(١) ذلك أن المعتزلة وافقوا القدرية فى قولهم ان للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله تعالى وقضائه.

ومن العجيب أن المعتزلة أحيانًا يلقبوا بالجهمية لا لأنهم وافقوا الجهمية فى القدر فالجهمية جبرية ولكن لأن لمعتزلة وافقوا الجهمية فى نفى الصفات عن الله وفى خلق القرآن، وقولهم إن الله لا يُرَى، وقد ألف البخارى والإمام أحمد كتابين فى الرد على الجهمية وعنيا بهم المعتزلة، والمعتزلة يبرأون من تسميتهم بالقدرية أو الجهمية، ويقولون إن مثبت القدر أولى بالانتساب اليه عن نافيه، ويتبرأ بشر بن المعتمر المعتزلى من الجهمية فيقول:

ننفيهمو عنا ولسنا منهمُ ولا هُمُو مِنّا ولا نرضاهمُ
إمامهم جهم وما لجهم وصحب عمرو ذى التقى والعلم

يحد من ثقتهم بالعقل إلا احترامهم لأوامر الشرع[١].

وبعد.. فهذا مدخل عام وصورة لاختلاف الفرق الإسلامية. وأهم أسباب الاختلاف وطبعى فى كتابى هذا الخاص بفرقة «الخوارج» أن أركز حديثى عن

(١) من أهم مبادئ المعتزلة قولهم بالحسن والقبح العقليين: فالعقل عندهم يدرك حسن الأشياء وقبحها ويدرك حكم الله الحسن بطلب فعله وفى القبح بطلب تركه وبنوا آراءهم فى العقائد على هذا المبدأ. فطريق وجوب المعرفة العقل لا الشرع. والمعتزلة يقولون ان الإيمان تصديق وعمل وأن مرتكب الكبيرة الذى مات ولم يتب من ذنبه فى منزلة بين المنزلتين. ومن مبادئهم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه. وأن الله تعالى لا يأمر إلاَّ بما أراد ولا ينهى إلا عما كره فهو يريد الخير ولا يريد الشر. وصفة القدم خاصة بذات الله وصفة الوحدانية ولهذا أنكروا صفات المعانى حتى لا يتعدد القدماء والمعتزلة يقولون إنه يجب على الله تعالى تنفيذ وعده ووعيده، وإرسال الرسل لعباده وتأييدهم بالمعجزات، ورعاية الصلاح والأصلح لخلقه.

وهم يقولون باستحالة رؤية الله تعالى لاقتضائها المشابهة للحوادث. وينكرون الشفاعة لمرتكبى الكبائر، ويوجبون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويؤولون المتشابه من القرآن والسنة.

وقال أبو الحسن الخياط المعتزلى «وليس أحد يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».

ويقول المعتزلة إن إحدى الطائفتين من «أصحاب الجمل» و«صفين» فى النار لا يعيشون واحدة، وأهل السنة يؤولون التشاجر بين الطائفتين تأدبًا واحترامًا لصحبتهم للنبى ﷺ وجهادهم فى سبيل الدعوة الإسلامية. ويقولون: الكل مجتهد ينشر مصلحة الإسلام والمسلمين. وقال المعتزلة بخلق القرآن، ويرد أهل السنة عليهم بقولهم إن الدلالات وهى الألفاظ التى نقرؤها حادثة لأننا نتلوها بألسنتنا ونكيفها بأصواتنا وهى فى حين القراءة قائمة بالحادث ومعنى حدوثها أن الله خلقها وليس لأحد فى أصل تركيبها كسب ما. وأما مدلول القرآن (وهو الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى) فقديم بلا جدال والفرق بين القراءة والمقروء كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر حادث والمذكور قديم. وقد تورع كثير من العلماء ومنهم الإمام أحمد عن القول بخلق القرآن وفضلوا التعذيب على أن يقولوا بخلق القرآن حتى دلالاته لئلا ينجرّ بعض الناس إلى اعتقاد خلق الصفة القديمة فإن كلام الله يطلق على الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ويطلق مجازًا أو بالاشتراك على القرآن الذى نقرؤه ومن هنا تورعوا عن القول بخلقه.

والحقيقة أن الخوارج يتفقون مع المعتزلة فى كثير من مبادئهم فهم يتفقون معا فى وجوب الخروج على الإمام الجائر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبالحسن والقبح العقليين، والقول بالوعد والوعيد وخلق القرآن وتأويل المتشابه، وينفون رؤية الله فى الآخرة، ويختلفون عنهم فى صفة الإرادة التى اعتبرها =

الخوارج فقط. أما بقية الفرق الإسلامية فسأتناولها بإذن الله تعالى - بالتفصيل فى مؤلفات مستقلة.

= الاباضية أزلية لا حادثة. كما يذهب جمهور الاباضية إلى أن الله خلق أفعال العباد جميعها، وليس لهم إلا مجرد اكتسابها. ومن الخوارج من يرون حرية الارادة وقدرة الانسان على خلق عمله وحريته.

المبحث الثانى

الخوارج فى السُّنَّة المطهرة

يبدو الإعجاز النبوى وإعجاز السنة المطهرة فى إخبار النبى ﷺ عن الخوارج والإشارة والتلميح إليهم وعلاماتهم. فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن زيد بن خالد الجهنى: أنه كان فى الجيش الذين كانوا مع على رضى الله عنه - الذين ساروا إلى الخوارج.. فقال على رضى الله عنه: أيها الناس، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء، يقرءون القرآن ويحسبون أنه لهم وهو عليهم. لا تجاوز صلاتهم تراقيهم[1] يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية[2] لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل.. وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدى، عليه شعرات بيض.. فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم.. والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على سرح الناس[3] فسيروا على اسم الله».

قال سلمة بن كهيل: فنزلنى زيد بن وهب منزلاً حتى قال: «مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسى.. فقال لهم: القوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإنى أخاف أن يناشدوكم

(١) التراقى: جمع ترقوة، وهو العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق، والمراد عدم انتفاعهم بالعبادة.

(٢) أى يخرجون خروج السهم إذا نفذ فى الصيد المرمى وخرج من الناحية الأخرى.

(٣) هى الأنعام التى ترعى ومن يرعاها ولعل فيها السبب المباشر لقتالهم.

كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا[١] برماحهم، وسلوا السيوف وشجرهم[٢] الناس برماحهم.. قال:

وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان.. فقال على رضى الله عنه التمسوا فيهم المخدّج[٣].. فالتمسوه فلم يجدوه.. فقام على بنفسه حتى أتى أناسًا قد قتل بعضهم على بعض.. قال: أخروهم فوجدوه مما يلى الأرض.. فكبّر ثم قال: صدق الله وبلّغ رسوله.. قال: فقام إليه عبيدة السلمانى فقال: يا أمير المؤمنين.. الله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ فقال: أى والله الذى لا إله إلا هو.. حتى استحلفه ثلاثًا.. وهو يحلف له[٤].

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

بعث على رضى الله عنه - وهو باليمن بذهبة فى تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر:

الأقرع بن حابس الحنظلى، وعيينة بن بدر الفزارى، وعلقمة بن علاثة العامرى، ثم أحد بنى كلاب، وزيد الخير الطائى ثم أحد بنى نبهان - قال فغضبت قريش فقالوا: أيعطى صناديد نجد ويدعنا.. فقال رسول الله ﷺ إنى إنما فعلت ذلك لأتلفهم[٥].. فجاء رجل كث اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس فقال: اتق الله يامحمد.. قال: فقال رسول الله ﷺ.. فمن يطع الله إن عصيته.. أيأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى؟.. قال: ثم أدبر الرجل.. فاستأذن رجل من القوم فى قتله [يرون أنه خالد بن

(١) أى رموا بها عن بعد.
(٢) أى طعنوهم.
(٣) الذى تقدم وصفه بأنه له عضد وليس له ذراع.
(٤) النووى على مسلم جـ ٧١ ص ١٧١، ورواه أبو داود جـ٤ رقم ٤٤، ورقم ٤٧٦٨. وفى البخارى بعضه بنحوه جـ ٤ حسن ١٦٠ وجـ٩ ص ١٥.
(٥) استميلهم إلى الإسلام بما يحبونه من المال حتى يتم تفهمهم له.

الوليد]. فقال رسول الله ﷺ إن من ضِئْضِىء[١] هذا قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم.. يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.. لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد..»[٢].

وفى رواية عنه أيضًا - بعد أن ذكر قصة هذا الرجل - فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يارسول الله.. ائذن لى فيه أضرب عنقه.. فقال رسول الله ﷺ «دعه فإنّ له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم.. يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.. ينظر إلى نصيله[٣] فلا يوجد فيه شىء، ثم ينظر إلى رِصَافه[٤] فلا يوجد فيه شىء.. ثم ينظر إلى فضيه فلا يوجد فيه شىء.. وهو القدح[٥] ثم ينظر إلى قُذذه[٦] فلا يوجد فيه شىء.. سبق الفرث[٧] والدم.. آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة[٨] تدردر[٩] يخرجون على حين فرقة من الناس[١٠].

قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أنّ عليًا بن أبى طالب - رضى الله عنه - قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس فوجد فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذى نعت[١١].

ومن ذلك كله يتضح لنا مدى الإعجاز النبوى فى التنبيه على الخوارج وجذورهم.

(١) أى من عنصره وذريته.
(٢) النووى على مسلم جـ٧ ص ١٦١ والبخارى جـ٩ ص ١٢٩ وأبو داود جـ٤ ص ٢٤٣.
(٣) النصل: حديدة السهم.
(٤) الرصاف: بكسر الراء: مدخل النصل من السهم.
(٥) القدح: السهم قبل أن يركب نصله.
(٦) القُذَذ: بضم القاف ريش السهم.
(٧) الفرث: ما فى الكرش.
(٨) البضعة: يفتح الباء قطعة اللحم.
(٩) تدردر: تضطرب.
(١٠) أى فى حالة الفرقة بين على بن أبى طالب ومعاوية رضى الله عنهما.
(١١) النووى على مسلم جـ٧ ص ١٦٥، والبخارى جـ٩ ص ١٥، ورواه مالك فى الموطأ باختصار ص ١٤٤ ط الشعب، وابن ماجة مختصرًا جـ١ ص ٣٨، وأحمد بنحوه جـ٣ ص ٤، ٣٣.

وحكى ابن الجوزى أن الخوارج قالوا لعبد الله بن خباب بن الأرت: هل سمعت من أبيك حديثًا تحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه.. قال نعم.. سمعت أبى يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول[١]. قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله.. قال نعم.. فقدموه إلى شفير النهر[٢] فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل[٣] وبقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلى[٤].

ولهذا قاتلهم الإمام على وأمامه الحجة والدليل على أنهم المقصودون بالأحاديث النبوية الشريفة ولقد بينت كتب السنّة الصحيحة هذا الأمر عن الخوارج ومناقشة على لهم.

فعن عبد الله بن عياض بن عمرو القارى أنه جاء عبد الله بن شداد ابن الهاد، فدخل على عائشة رضى الله عنها - ونحن عندها جلوس - مرجعه من العراق ليالى قتل على بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقالت له: يا ابن شداد بن الهاد.. هل أنت صادقى عمّا أسألك عنه؟ حدّثنى عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على. قال: وما لى لا أصدقك؟ قالت: فحدّثنى عن قصتهم.. قال: فإنّ عليًا بن أبى طالب لمّا كاتب معاوية وحكم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرضٍ يقال لها حروراء من جانب الكوفة.. وأنهم عيبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص كساكه الله، واسم سماك الله به[٥].

(١) وفى رواية «فمن استطاع أن يكون مقتولاً فلا يكونن قاتلاً».
(٢) شاطئ النهر.
(٣) أحد سيوره التى تكون على وجهه.
(٤) تلبيس إبليق لابن الجوزى ص٩١.
(٥) حيث أبى الشاميون أن يقبلوا كتابه: «هذا ما قضى عليه أمير المؤمنين على معاوية». واشترطوا كتابة علىّ فقط بدون لقب أمير المؤمنين. قبل ذلك حقنا للدماء وأملًا فى إحلال الصفاء واقتداء بالرسول ﷺ فى الحديبية.

ثم انطلقت فحكمت فى دين الله فلا حكم إلا لله.. فلما بلغ عليًا ما عيبوا عليه وفارقوه عليه.. أمر مؤذنًا فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا من قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس.. دعا بمصحف إمام[١] عظيم فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده[٢] ويقول: أيها المصحف: حدّث الناس.. فناداه الناس.. يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد من ورق يتكلم بما رأينا منه فما يزيد.. قال: أصحابكم أولئك الذين خرجوا بينى وبينهم كتاب الله[٣] يقول الله فى كتابه فى امرأة ورجل: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهلِه وحكمًا من أهلِها﴾ [النساء: ٣٥].. فأمة محمد ﷺ أعظم حرمة أو ذمة من رجل وامرأة.

ونقموا علىّ أنى كاتبت معاوية: كتبت على بن أبى طالب.. وقد جاء سهيل ابن عمرو فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم.. قال: لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم. قال وكيف نكتب؟ قال سهيل: اكتب باسمك اللهم.. فقال رسول الله ﷺ فاكتبْ: محمد رسول الله.. فقال لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك.. فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا.. يقول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾.

فبعث إليهم ابن عباس.. فخرجت معه.. حتى إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء فخطب الناس فقال: يا حملة القرآن.. هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فليعرفه، فأنا أعرفه من كتاب الله هذا مِمّن نزل فيه وفى قومه ﴿قوم خصِمون﴾ [الزخرف: ٥٨]، فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله[٤].. قال: فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه الكتاب [أى

(١) أى مصحف من المصاحف التى فرقها سيدنا عثمان على الأمصار وجمع عليها المسلمين.
(٢) ينقر عليه بيده.
(٣) الذين يدّعون التمسك به دون سواه.
(٤) وهذا يعنى أن ابن الكواء كان يريد أن تظل الفتنة قائمة والخلاف مشتعلا ويحاول اغلاق كل محاولة للتفهم أمام ابن عباس.

لنوافقنه فى الاحتكام إلى كتاب الله]. فإن جاء بالحق نعرفه لنتبعنه.. وإن جاء بباطل لنبكتنه[١] بباطل ولنردنه إلى صاحبه.. فواضعوا عبد الله ابن عباس ثلاثة أيام.. فرجع منهم أربعة آلاف تائب فيهم ابن الكواء[٢] حتى أدخلهم على الكوفة، فبعث على إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

قال: فقالت عائشة: يا ابن شداد فقد قتلهم.. قال: فوالله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا الذمة.. فقالت: والله.. قال: الله الذى لا إله إلا هو لقد كان.. قالت: فما شىء بلغنى عن أهل العراق يتحدثونه يقولون: ذا الثدية مرتين.. قال: قد رأيته وقمت مع على على القتلى.. دعا الناس فقال: أتعرفون هذا- فما أكثر من جاء يقول: رأيته فى مسجد بنى فلان يصلى- ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذاك.. قالت: فما قول على حين قام عليه كما يزعم أهل العراق. قال سمعته يقول صدق الله ورسوله[٣].

وعن أبى زميل سماك الحنفى، حدثنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: (لما خرجت الحرورية، اجتمعوا فى دار- وهم ستة آلاف- أتيت عليًا فقلت يا أمير المؤمنين: أبرد بالظهر لعلى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم.. قال: إنى أخاف عليك.. قلت: كلا.. قال ابن عباس: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن.. قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيرًا.

قال ابن عباس؛ فأتيتهم وهم مجتمعون فى دارهم قائلون، فسلّمت عليهم.. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس.. فما هذه الحلة؟ قال: قلت: ما تعيبون على؟

(١) التبكيت: التحقير وتقبيح الفعل.

(٢) لكن رجوع ابن الكواء لم يكن أكثر من تحايل وعدم إخلاص.

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك جـ٢ ص١٥٢، ومجمع الزوائد جـ٦ ص٢٣٥ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

لقد رأيت على رسول رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل ونزلت ﴿قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ الأعراف: ٣٢. قالوا: فما جاء بك؟ قلت: أتيتكم من عند صحابة النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلمُ بالوحى منكم، وفيهم أُنزل، وليس فيكم منهم أحد[١].. فقال بعضهم[٢]: لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول: ﴿بل هم قوم خصمون﴾.

قال ابن عباس:

وأتيت قومًا لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم.. مسهمة وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم.. فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول.. قلت: أخبرونى ماذا نقمتم على على ابن عم رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثًا. قلت: ما هن؟ قالوا: ثلاثًا. قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكّم الرجال فى أمر الله وقال الله تعالى ﴿إن الحكمُ إلا لله﴾ [يوسف ٤٠، ٦٧. والأنعام: ٥٧]

وما للرجال وما للحكم؟ فقلتُ: هذه واحدة.. قالوا: وأما: الأخرى: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم.. فإن كان الذى قاتل كفارًا لقد حل سبيهم وقتالهم.. ولئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم.. قلت: هذه اثنتان، فما الثالثة؟ قالوا: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين[٣] قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.. فقلت لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله، ومن سُنّة نبيه ﷺ ما يرد قولكم.. أترضون؟ قالوا: نعم.. قلت:

أما قولكم حكّم الرجال فى أمر الله.. فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم فى أرنب ونحوها من الصيد.. فقال:﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل

(١) وهذا دليل على أنه لم يكن فيهم صحابى واحد.

(٢) وهو كما أشرنا من قبل ابن الكواء.

(٣) لأنهم - كما نعلم - يكفرون من خالفهم.

من النعم يحكم به ذوا عدل منك..﴾ [المائدة: ٩٥].. فنشدتكم الله.. أحكم الرجال فى أرنب ونحوها من الصيد أفضل.. أم حكمهم فى دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وإن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.

وفى المرأة وزوجها - قال الله عز وجل: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما﴾.

فجعل الله حكم الرجال سُنَّة مأمونة.. أخرجت عن هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم. أتَسْبون أمكم عائشة ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهى أمكم.

ولئن قلتم ليست أمنا، لقد كفرتم، فإن الله تعالى يقول: ﴿النبى أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦].

فأنتم تدورون بين ضلالتين - أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة.. فنظر بعضهم إلى بعض.. قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.. قلت:

وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون [أى بما ترضون من الدليل القاطع المقنع] وأريكم.. قد سمعتم أن النبى ﷺ يوم الحديبية كاتب سهيلاً بن عمرو وأبا سفيان بن حرب.. فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: أكتبْ ياعلى.. هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله ﷺ.

فقال المشركون: لا.. والله ما نعلم أنك رسول الله.. لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.. فقال رسول الله ﷺ. اللهم إنك تعلم أنى رسول الله.. أكتب يا على.. هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله. فوالله لرسول الله خير من على، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه.. قال عبد الله بن عباس:

فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة»[1].

ومن هذه الروايات كلها المتشابهة فى المعنى نلاحظ أنها روايات يكمل

(١) الحاكم فى المستدرك جـ٢ ص ١٥٠ واللفظ له، ومجمع الزوائد جـ٦ ص ٢٤٩. وقال رواه الطبرانى وأحمد ببعضه. ورجاله رجال الصحيح.

بعضها بعضًا ورجال هذه الروايات هم رجال الصحيح مما يكسب روايتهم القوة والصحة والصدق. ولعل الاختلاف فى عدد من رجع من الخوارج وتاب يعود فى المقام الأول إلى أن هناك بعضهم رجع عن اقتناع عقلى وقلبى، ومنهم من رجع فى الظاهر ثم عاد إلى فكره الخارجى لأنه مذبذب العقيدة مضطرب النفس.. لكننا كما رأينا أن هذه الروايات جميعًا يكمل بعضها بعضًا.

المبحث الثالث

نشأة الخوارج وأهم صفاتهم

من المعروف أن فرقة الخوارج نشأت - فى أرجح الآراء - بسبب التحكيم فى الخلاف بين الإمام على رضى الله عنه ومعاوية فى موقعة صفين[1]، لما طلب معاوية وأصحابه فى صفين «سنة ٣٧ هـ» من الإمام على أن يتحاكم الفريقان إلى القرآن الكريم تردد على كرم الله وجهه فى قبول وجهة نظرهم لمعرفته بدهاء معاوية وعمرو بن العاص صاحب فكرة رفع المصاحف والتحاكم إلى القرآن الكريم، لكن بعض أصحاب علىّ حثه على قبول فكرة التحاكم إلى القرآن الكريم، فقبل الطيب الكريم رضى الله عنه الفكرة ورضخ للرأى حتى لا يؤدى رفضه إلى افتراق جماعته.

روى أن الأشعث بن قيس ومسعود بن فَدَكى التميمى وزيد بن حصين الطائى قالوا لسيدنا (على): الناس يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف! فلترجعن «الأشتر» [قائد جند على] عن قتال المسلمين أو لنفعلن بك ما فعلنا (بعثمان)[2] فأمر علىّ «الأشتر» بالكف عن القتال بعد أن كان نصر الأشتر وشيكًا.

ثم أراد على أن ينيب عنه فى قضاء الحكمين عبد الله بن عباس للتحكيم فما رضى الخوارج بذلك وقالوا هو منك.

---

(١) صفين موضع على شاطئ الفرات بقرب الرقة.

(٢) من الملاحظ أن ابن كثير يصف الثائرين على عثمان بـ «الخوارج» أثناء تعرضه للفتنة وملابساتها «البداية والنهاية» لابن كثير جـ ٧ ص ١٨٩.

ويرى الشهرستانى أن الخارجى هو كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه. [الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٠٥].

فحملوه على إرسال أبى موسى الأشعرى على أن يحكم بكتاب الله، ولما جرى الأمر على خلاف الحق، رفض على قبول حكم الحكمين، فخرج عليه بعض أصحابه وقالوا لماذا حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله فقال الإمام علىّ: كلمة حق يراد بها باطل، إنما يريدون لا إمارة ولا بد من إمارة برّة، أو فاجرة، ثم انحازوا إلى «حروراء»[١] وأعلنوا بذلك خروجهم على «على» و «معاوية» و «الحكمين» وكل من رضى بالتحكيم. فكانوا هم جماعة الخوارج الأولى.

وقد يسمى الخوارج بالحرورية نسبة إلى حروراء وهى القرية التى خرجوا إليها.

وسموا بالمحكمة أى الذين يقولون لا حكم إلا لله[٢] وسموا أنفسهم الشراة أى الذين باعوا أنفسهم لله من قوله تعالى ﴿ومن الناس مَنْ يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

ونخلص من ذلك أن المحكمة الأولى من الخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فى صفين وأول من خرج منهم: الأشعث ابن قيس الكندى، ومسعر بن فدكى التميمى، وزيد بن حصين الطائى.

وخرج على علىّ يوم التحكيم: «عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبى، وعروة بن جرير، ويزيد بن عاصم المحاربى، وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية»[٣].

وهؤلاء هم المحكمة الذين قالوا لعلى رضى الله عنه لما حكم الحاكمين: «إن كنت تعلم أنك الإمام حقًا فلم رضيت بحكميهما، وإن كنت لم تعلم أنك الإمام حقًا فلم أمرتنا بالمحاربة، ثم انفصلوا عنه لهذا السبب وكفروا عليًا

(١) قرية قريبة من الكوفة.

(٢) سماهم المقريزى الحكمية وعرفهم بأنهم الذين خرجوا على علىّ فى صفين وقالوا لا حكم إلا لله ولا حكم للرجال المقريزى جـ ٢ ص ٣٥٤.

(٣) الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ١٠٥.

ومعاوية رضى الله عنهما[١].

وهناك رأى لصاحب المقالات[٢] الأشعرى يقول فيه «ويقال إن أول من حكم بصفين «عروة بن بلال بن مرداس»[٣].

ورأى آخر يقول «إن أول من قال «لا حكم إلا لله» عروة بن حدير (ويقال ابن جرير)، قالها بصفين، وقيل يزيد «ويقال زيد»، بن عاصم المحاربى، قال: وكان أميرهم أول ما اعتزلوا ابن الكواء، ثم بايعوا لعبد الله ابن وهب الراسبى».

والحق أن أقوال المتكلمين فيمن كان أول المحكمة فيها اختلاف كبير.

لكن المهم أن نقول بعد ذلك إنه كما أشرنا من قبل فإن الخوارج بعد رجوع علىّ من صفين إلى الكوفة انحازوا هم إلى حروراء وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء، وشبث بن ربعى، ويقول الرسعنى[٤] «وناظرهم علىّ فاستأمن إليه ابن الكواء مع عشرة من الفرسان، وانحاز الباقون منهم إلى النهروان، وأمرّوا على أنفسهم رجلين:

أحدهما عبد الله بن وهب الراسبى، والآخر حرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثُّدية.

ورأوا فى طريقهم رجلًا هاربًا منهم فقالوا له[٥] «مَنْ أنت»، قال: «أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ. فقالوا: «حدثنا حديثًا سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ. فقال: سمعت أبى يقول: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشى

(١) اعتقادات الرازى ص ٤٦.

(٢) مقالات جـ ١ ص ١٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد جـ ١ ص ٢٠٣.

(٤) صاحب مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٦٨ جـ ١ ص ٧٢. والنص موجود أيضًا فى كتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٧٥: ٨١.

(٥) أشرنا إلى هذه الحادثة فى المبحث السابق باختصار وهذا هو تفصيلها وتفصيل الحوار بين الخوارج والإمام علىّ كرّم الله وجهه.

والماشى خير من الساعى. فمن استطاع أن يكون مقتولا فلا يكونن قاتلاً».
فحمل عليه رجل من الخوارج يقال له مِسْمَع بسيفه فقتله. فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك إلى الجانب الآخر. ثم إنهم دخلوا منزله وكان منزله فى القرية التى قتلوهُ على بابها، فقتلوا ولده وجاريته أم ولده. ثم عسكروا بنهروان. وانتهى خبرهم إلى علىّ عليه السلام فسار إليهم فى أربعة آلاف وبين يديه عدى بن حاتم الطائى. فلما قرب منهم علىّ عليه السلام أرسل إليهم يقول «سلموا لى قاتل عبد الله بن خباب» فأرسلوا إليه «كلنا قتلَهُ. وإن ظفرنا بك لنقتلنّك».

فتقدم إليهم «علىّ» فى جيشه وبرزوا إليه بجمعهم. فقال لهم قبل القتال «ماذا نقمتم منا»؟... فأرسلوا إليه «أول شىء نقمنا منك أنّا قاتلنا بين يديك يوم الجمل، فلما انهزموا أبحت لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال، ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم: فكيف استحللت مالهم دون نسائهم والذرية؟». فقال «إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا غاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم. والنساء والذرية لم يقاتلونا، وكان لهم حكمُ الإسلام بحكم دار الإسلام، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر. وبعد فلو أبحت لكم النساء أيكم كان يأخذ عائشة فى سهمه؟» فخجل القوم من هذا.

ثم قالوا له «نقمنا عليك محوك أمير المؤمنين عن اسمك من الكتاب بينك وبين معاوية». فقال «فعلتُ مثل ما فعل رسول الله يوم الحديبية حين قال له سُهيل بن عمرو: لو علمنا أنك رسول الله لما نازعناك ولكن اكتب باسمك واسم أبيك. فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل ابن عمرو. وأخبرنى رسول الله أن لى منهم يومًا مثل ذلك».

قالوا: «فلم حكّمت الحكمين؟ فإن كنت فى شكٍّ مِن خلافتك فغيرك أَوْلى بالشك». فقال: إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية. ولو قلتُ للحكمين احكما لى بالخلافة لم يرض معاوية. وقد دعا رسول الله ﷺ نصارى نجران إلى المباهلة فقال ﴿تعالوا ندعُ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ آل عمران: ٦١. ولو قال: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يرض النصارى

بذلك. فأنصفهم بذلك. ولم أدر غدر عمرو بن العاص. قالوا «فلِم حكّمت فى حق كان لك؟» قال: وجدت رسول الله ﷺ حكّم سعد بن معاذ فى بنى قريظة. ولو شاء لم يفعل. لكنّ حكمَ رسول الله ﷺ حكم بالعدل. وحكمى خُدِع حتى كان من الأمر ما كان. فهل عندكم من شىءٍ سوى هذا؟» فسكت القوم وقالوا أكثرهم «صدق والله» وقالوا التوبة[1] واستأمن إليه يومئذ منهم ثمانية آلاف. وانفرد منهم أربعة آلاف مع عبد الله ابن وهب وحرقوص بن زهير البجلى. وقال «علىّ» للذين استأمنوا إليه اعتزلونى اليوم. وقاتل الخوارج بالذين قدموا معه. وقال لأصحابه: قاتلوهم، فوالذى نفسى بيده لا يقتل منا عشرة، ولا ينجو عشرة منهم، فقتل من أصحاب علىّ يومئذ تسعة وهم: ذؤيبة بن وبرة البجلى، وسعد بن مجالد السبيعى، وعبد الله بن حماد الجريرى، ورفاعة بن وائل الأرحبى، والفياض ابن خليل الأزدى، وكيسوم بن سلمة الجهنى، وعتبة بن عبيد الخولانى، وجميع بن جشم الكندى، وحبيب بن عاصم الأودى.

وبرز حرقوص بن زهير، إلى علىّ - رضى الله عنه - وقال: يا ابن أبى طالب: لا نريد بقتلك إلا وجه الله والدار الآخرة، وقال له علىّ: بل مثلكم كما قال الله عز وجل: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً. الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنْعًا﴾ الكهف ١٠٣ - ١٠٤. منهم أنت ورب الكعبة، ثم حمل عليه فى أصحابه، وقتل عبد الله بن وهب فى المبارزة، وصرع ذو الثدية عن فرسه. وقتلت الخوارج يومئذ، فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس، صار منهم رجلان إلى سجستان، ورجلان إلى اليمن ومن أتباعهما أباضية اليمن، ورجلان صارا إلى عمان ومن أتباعهما خوارج عمان، ورجلان صارا إلى ناحية الجزيرة ومن أتباعهما كان خوارج

---

(١) ذكرت من قبل فى كتب السُّنَّة وبخاصة الحاكم فى المستدرك، وأحمد. ورجاله رجال الصحيح حوارًا بين ابن عباس والخوارج شبيهًا بهذا الحوار بين على والخوارج.. ويبدو لى أن الذى حاور الخوارج هو ابن عباس رضى الله عنه لأن الأحاديث الخاصة به مروية عن طريق رجال الصحيح. ولكن لا مانع أيضًا أن يكون الإمام على حاورهم أيضًا لإقناعهم بسلامة رأيه وصحة اجتهاده.

الجزيرة، ورجل منهم صار إلى مكان آخر يقال له «تل مَوْزن» وقال على لأصحابه يومئذ: اطلبوا ذا الثدية، فوجدوه تحت دالية، ورأوْا تحت يده عند الأبط، مثل ثدى المرأة، فقال: صدق الله ورسوله[١] وأمر به فقتل.

فهذه قصة المحكمة الأولى، وكان دينهم: إكفار على وعثمان وأصحاب الجمل ومعاوية وأصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم، وإكفار كل ذى ذنب ومعصية.

ثم لم تزل الخوارج تخرج على على إلى أن قُتِل عليه السلام فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، حيث قتل عبد الرحمن بن مُلجم الخارجى[٢] وكان زوجًا لامرأة قُتِل كثير من أفراد أسرتها فى وقعة النهروان. وبعد مقتل علىّ خرجت الخوارج بعده على معاوية وظلوا مع الدولة الأموية فى حروب طويلة، وفى عهد العباسيين ضعفت شوكة الخوارج وانهارت قواهم وضعف تأثيرهم وقلت جموعهم وفتروا تمامًا عن الحروب.

والحقيقة أن الخوارج عرفوا بعصبيتهم العربية فقد كانت القبائل التى انتشر فيها مذهب الخوارج من القبائل «الرِّبعية»، لا من القبائل المضرية، والنزاع بين القبائل الربعية والمضرية قديم منذ العصر الجاهلى ـ كما أشرنا من قبل ـ وقد أخفاه الإسلام قليلاً لكنه ظهر ثانية فى شكل خارجى[٣].

كان معظم الخوارج من عرب البادية الربعيين وقد عرفوا بالتعصب والحماسة والاندفاع السريع فى آرائهم.

---

(١) يقصد أن النبى ﷺ أشار إلى هذا الحدث من قبل حدوثه فقال: «سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، وهم الذين أولهم ذو الخويصرة، وآخرهم ذو الثدية».

(٢) قال فيه أحد شعراء الخوارج الصفرية عمران بن حطان:

يا ضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانًا

إنى لأذكره حينًا فأحسبه ... أوْفَى البرية عند الله ميزانًا

(٣) لعل ذلك أحد الأسباب النفسية التى جعلت الخوارج يقولون بجواز الإمامة فى قريش أو غيرها فقد رأوا أن الخلفاء من مُضَرَ وهم لم ينسوا قط الصراع القديم بين الربعين والمضريين.

كما عرفوا بتمسكهم بظواهر الألفاظ فتمسكوا بظواهر الألفاظ القرآنية لا يتجاوزون الظاهر إلى المرمى والموضوع.

وقد عُرف عن الخوارج أيضًا التشديد فى العبادة[١] ويروى أن عبد الله ابن عباس حينما ناقشهم رأى منهم جباهًا قرحة لطول السجود، وأيدى كثفنات الإبل عليها قمص مرحضة (أى طاهرة)[٢].

كما عُرف الخوارج بالإخلاص الشديد لعقيدتهم والشجاعة فى حروبهم وكانوا مصدر قلق للدولة الأموية فقد «ظلت الخوارج شوكة فى جنب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها حربًا تكاد تكون متواصلة فى شدة وشجاعة نادرة، وأشرفوا فى بعض مواقفهم على القضاء على الدولة، وكانوا فرعين: فرعًا بالعراق وما حولها، وكان أهم مركز لهم «البطائح» بالقرب من البصرة، وقد استولوا على كرمان وولاية فارس وهددوا البصرة، وهؤلاء هم الذين حاربهم المهلب بن أبى صفرة، واشتهر من رجالهم نافع بن الأزرق وقطرى ابن الفجاءة.

وفرعًا بجزيرة العرب استولوا على اليمامة وحضر موت واليمن والطائف، ومن أشهر أمرائهم فيها أبو طالوت ونجدة بن عامر وأبو فديك.

ولم يتغلب الأمويون على هذين الفرعين إلا بعد حروب طويلة شديدة

---

(١) قال أبو حمزة الخارجى فى وصف أصحابه الخوارج «شباب والله مكتهلون فى شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلةٌ عن الباطل أرجُلُهم، أنضاء عبادة، وأطلاع سهر، فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مرّ بآيةٍ من ذكر الجنة بكى شوقًا إليها، وإذا مرّ بآيةٍ من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه، موصول كَلَالُهم بكلالهم، كلال الليل بكلال النهار، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، واستقلوا ذلك فى جنب الله، حتى إذا رأوا السهام قد فُوِّقَتْ، والرماح قد أشرعت، والسيوف قد انتضيت، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله، ومضى الشباب منهم قدمًا حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه. وتخضبت بالدماء محاسن وجهه، فأسرعت إليه سباع الأرض، وانحطت إليه طير السماء، فكم من عين فى منقار طير بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله، وكم من كف زالت عن معاصمها طالمًا اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله».

(٢) الكامل للمبرد: جـ ٢: ص ١٤٣.

استمرت طوال عهد الدولة الأموية.

ثم كانوا كذلك فى الدولة العباسية، ولكن لم يكن لهم من القوة ما كان لهم فى عهد الأمويين، فقد ضعف شأنهم وانحط»[١].

وكان الخوارج من أشد الفرق الإسلامية جرأة وإندفاعًا وحماسة وتهورًا فى سبيل الدفاع عن عقائدهم وإنهم بحق كما يقول الشيخ أبو زهرة[٢] «ليشبهون فى استحواذ الألفاظ البراقة على نفوسهم واستيلائها على مداركهم اليعقوبيين الذين ارتكبوا أقسى الفظائع وأشد الشنائع فى الثورة الفرنسية، فقد استولت غلى هؤلاء ألفاظ الحرية والمساواة والإخاء، وباسمها قتلوا الناس، وأهرقوا الدماء وأولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا البلاد الإسلامية بالدماء، وشنوا الغارة فى كل مكان، ويظهر أن الحماسة التى امتازوا بها كانت الوحدة الجامعة بينهم وبين اليعقوبيين، وما صدر عن الفريقين من أعمال متشابهة، كان لهذه الحماسة وقوة العاطفة» ولقد كان الخوارج أكثر الفرق الإسلامية حماسة لأفكارهم ومبادئهم وعرفوا بالتهور والإندفاع الشديد والاستمساك بظواهر الألفاظ، والاستهداف للمخاطر بداع أو بدون داع قوى لذلك نتيجة تعصبهم الأعمى لمبادئهم وعقائدهم.

وكان الخوارج كثيرًا ما يختلفون ولعل هذا هو السبب فى اخفاقهم فى كثير من المعازك رغم شجاعتهم النادرة فى القتال. يقول الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق[٣] «على أن من أهم أسباب إخفاق حركات الخوارج وفشل ثوراتهم، تفشى الخلافات داخل جماعتهم، وهى خلافات كان الباعث عليها فى الغالب الاختلاف فى المبدأ والرأى. فقد تباينت آراؤهم فى مسائل عدة. وأدى ذلك إلى انقسامهم إلى فرق.. ومما زاد من خطورة هذا الانقسام أنه كان يحدث

(١) فجر الإسلام جـ ١ فى الحياة العقلية ص ٣٠٨.
(٢) تاريخ الجدل للشيخ أبو زهرة ص ١٤٧.
(٣) فى كتابه الخوارج فى بلاد المغرب ص ٢٧.

فى الأوقات العصيبة إبان حروبهم فكان يحرمهم من جنى ثمار النصر ويؤدى بهم إلى الهزائم»[١].

ونحن نرى أن الخوارج هم أول حزب سياسى تكون فى تاريخ الإسلام بعد موقعة صفين وإعلان نتيجة التحكيم بين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص.

ويرى الدكتور النشار[٢] أن المسلمين حتى مقتل الحسين كانوا مسلمين فحسب لا سنة ولا شيعة، ولم تظهر فكرة (الوصاية أو الإمامة) فكريا أو سياسيًا إلا فى فرقة الخوارج أى قبل ظهور التشيع».

(١) من أمثلة ذلك «خروج عبد ربه الكبير على قطرى بن الفجاءة وهو يقاتل المهلب ٧٧ هـ ٦٩٦م، لأن قطرى تأول فأخطأ فانفصل عنه عبد ربه بمعظم الجيش بعد أن كان النصر وشيكًا، واتيح للمهلب سحقهما واحدًا بعد الآخر» المرجع السابق ص ٢٧.
(٢) نشأة الفكر الفلسفى جـ ٢ للدكتور النشار ص ١٨.

المبحث الرابع

فرق الخوارج

انقسمت الخوارج إلى فرق كثيرة بعض هذه الفرق أصول. وبعضها فروع.

فمن الأصول، الأزارقة، والإباضية، والنجدية، والصفرية.

وهناك فرق صغيرة تفرع عنها فرق أصغر مثل:

١ - العجاردة:

العجاردة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد، والعجاردة أصلهم من أصحاب عطية بن الأسود حيث كان عبد الكريم بن عجرد من أصحاب عطية[١]. وعطية أصلًا كان من أصحاب نجدة، لكن خرج عنه ولهذا فإن فكر العجاردة قريب من فكر النجدات لأن النجدات الأصل، لكن مِمّا انفرد به العجاردة عن غيرهم قولهم: يجب البراءة من الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، ويجب دعاؤه إذا بلغ، وأطفال المشركين فى النار مع آبائهم.

ومن مبادئهم أنهم يتولون القعدة من الخوارج إذا عرفوا بالتقوى[٢].

والهجرة عند العجاردة فضيلة وليست فرضًا[٣] إلّا أنهم يكفرون بالكبائر.

والعجاردة لا يرون استباحة الأموال، ولا يباح مال مخالف إلا إذا قتل ولا يقتل من لا يقاتل.

---

(١) وقيل أيضًا إن عبد الكريم عجرد كان من أصحاب أبى بهيس الملل والنحل. جـ ١ ص ١١٢، ١١٥.

(٢) فهم ليسوا كالازارقة يرون وجوب الجهاد باستمرار ولا يستسيغون القعود عن القتال لقادر أيًا كان سبب القعود.

(٣) العجاردة لا يرون أن الهجرة من دار المخالفين واجبة بل يرونها فضيلة كما ذكرنا.

وكما نلاحظ فإن فرقة العجاردة قد أسرفت فى الحكم على الأطفال حتى أوجبت البراءة منهم، كما أوجبت دعاءهم إلى الإسلام بعد بلوغهم. وقد اشتدوا فى حكمهم على أطفال المشركين وقالوا بأنهم فى النار مع آبائهم وأنهم أهل شرك مثل آبائهم. ومن ناحية أخرى فقد لاحظنا أن العجاردة قد تساهلوا فى أمر الجهاد مخالفين لآراء أسلافهم من الخوارج ولهذا فإن العجاردة لم يكفروا القعدة منهم عن القتال كما أنهم لم يفرضوا الهجرة كما فرضها أسلافهم.

وكان عبد الكريم عجرد لا يرى المال فيئًا حتى يقتل صاحبه[١]. وقد افترق العجاردة إلى فرق عديدة واختلفوا فى أمور عقدية منها ما يتعلق بالقدر، ومنها ما يتعلق بأطفال المخالفين. ومن أمثلة ذلك أن رجلًا منهم اسمه شعيب كان مدينًا لآخر اسمه ميمون فلما تقاضى هذا دينه، قال شعيب أعطيكه إن شاء الله، فقال ميمون قد شاء الله ذلك فى هذه الساعة. فقال شعيب لو شاء لم أستطع إلّا أن أعطيه فقال ميمون قد أمر بذلك، وكل ما أمر به فقد شاء، وما لم يشأ لم يأمر به فأرسل شعيب وميمون إلى رئيسهم وإمامهم عبد الكريم عجرد فأجابهم إجابة مبهمة وهى إنما نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سوءًا. ولأن الإجابة كانت مبهمة فقد ادعى كل منهما أن الإجابة توافق رأيه وانقسم العجاردة إلى شعيبية وميمونية.

ويروى أن عجرديًا اسمه ثعلبة كان له بنت، فخطبها عجردى آخر وأرسل إلى أمها يسألها، ويقول فى سؤالها:

إن كانت قد بلغت ورضيت الإسلام على الشرط الذى يعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها.

فأجابت الأم إنها مسلمة فى الولاية سواء أبلغت أم لم تبلغ، فرفع الأمر إلى عبد الكريم عجرد، فاختار البراءة من الأطفال، وخالفه ثعلبة واستقل برأيه.

ومن ذلك يلاحظ أن جدل العجاردة كان ينتهى عادة إلى خلاف يثمر عنه

(١) العجاردة فارقوا الازارقة الذين يستحلون أموال مخالفيهم.

العديد من الفرق الصغيرة[١] فمن فروع العجاردة: الصلتية.

والصلتية ينسبون إلى صلت بن عثمان، وقيل عثمان بن أبى الصلت، وقيل صلت بن أبى الصلت[٢] ويذكر الملطى[٣] هذه الفرقة باسم الصليدية[٤] ويقول عنهم إنهم شر الخوارج وأقدرهم وأكثرهم فسادًا وكان لهم عدد وجمع بناصية سجستان ونواحيها.

وهم يقتلون ويستحلون الأموال على الأحوال كلها.

ومذهب الصلتية تثبيت لما ذهب إليه العجاردة فى أطفال المسلمين والمشركين على السواء، إذا أسلم الرجل تولياه، وبرئنا من أطفاله لأنه ليس لهم إسلام حتى يدركوا، فيدعون حينئذ إلى الإسلام[٥].

ويحكى عن جماعة من الصلتية أنهم قالوا: ليس لأطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا أو ينكروا[٦].

ومن فرق العجاردة الحازمية. وهؤلاء كانوا أكثر عجاردة سجستان. وهم أصحاب حازم بن على[٧] والحازمية «قالوا فى القدر والاستطاعة والمشيئة بقول أهل السّنة[٨] وكفروا الميمونية الذى قالوا بقول المعتزلة فى باب القدر

(١) افترقت العجاردة إلى: الصلتية، والحازمية، والثعالبة، وافترقت الحازمية إلى الشعيبية، والميمونية، والمعلومية، والمجهولية، والحمزية. ونشأت عن الميمونية الخلفية. وافترقت إلى المعبدية، والأخنسية، والشيبانية، والرشيدية، والمكرمية، والثعالبة الخلص. ونشأت عن الشيبانية الزيادية.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٩٧، والمقالات جـ ١ ص ١٦٦.

(٣) التنبيه والرد ص ٥٧.

(٤) ويعتبر الملطى «الصليدية» انشقت من جراب الحمزية.

(٥) التبصير فى الدين للاسفرايينى ص ٣٣ ـ الفرق بين الفرق ص ٣٧.

(٦) الملل والنحل جـ ١ ص ١١٦.

(٧) الشهرستانى ١: ١٧٦.

(٨) وقول أهل سنة هو أن لا خالق للفعل إلا الله ولا يكون إلا ما شاء الله. والاستطلاعة مع العقل.

والاستطاعة، والحازمية خالفوا أكثر الخوارج فى أمور وافقوا فيها أهل السنة[١]».

ومثل ذلك أنه للحازمية رأى فى الولاية والعداوة يخالف رأى أكثر الخوارج، ويشبه قول أهل السنة فى الموافاة: فالولاية والعداوة إضافتان لله سبحانه تكونان بينه وبين العبد بحسب ما يصير إليه الأخير من الإيمان أو الكفر فى آخر حياته.

ومن فرق العجاردة.

- **الشعيبية:**

... وهم أصحاب شعيب بن محمد الذى ذهب مذهب الحازمية فى القدر، لخلاف نشأ بين شعيب وبين ميمون.

والشعيبية على مذهب العجاردة فى حكم الأطفال، والقعدة، والتولى والتبرى.

- **والميمونية:** هم أصحاب ميمون بن خالد: الذى ذهب فى القدر مذهب المعتزلة. وقد أجاز ميمون نكاح بنات البنات، وبنات أولاد الإخوة والأخوات، وحكى الشهرستانى والبغدادى عن جماعة الميمونية إنكارهم كون سورة يوسف من القرآن.

لكن الأشعرى يشكك فى صحة نسبة هذا القول إلى الميمونية.

ومن فرقة العجاردة.

المعلومية والمجهولية: فالمعلومية منهم قالت: من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به، والجاهل به كافر، حتى يصير عالمًا بجميع ذلك فيكون مؤمنًا.

(١) مختصر كتاب الفرق بين الفرق للرسعنى ص ٨٠.

والمجهولية قالوا: من عرف الله ببعض أسمائه فقط فقد عرفه وكفروا المعلومية لما ذهبوا إليه كما خالف المجهولية المعلومية فى قولهم بأن الفعل مخلوق للعبد وذهبوا مذهب أهل السنّة فى ذلك.

- **وأيضًا منهم الحمزية:**

أتباع حمزة بن أدرك الذى كان له فتن كبيرة وعاث فى الأرض فسادًا جهة سجستان وخراسان وما والاهما وعرف عنه القسوة والشدة والعنف مع مخالفيه يذبح أولادهم ونساءهم ورجالهم ويخرب ديارهم وبيوتهم[١].

والحمزية أصحاب حمزة بن أدرك[٢] وافقوا الميمونية فى القدر وفى معظم بدعها إلا فى أطفال مخالفيهم والمشركين، فإنهم كانوا يقطعون بأنهم فى النار. ويقول الملطى عنهم أنهم «يقولون بكل قول الحرورية، غير أنهم لا يستحلون أخذ مال أحد حتى يقتلوه، فإن لم يجدوا صاحب المال لم يتناولوا من ذلك المال شيئًا دون أن يظهر صاحبه فيقتلوه فإذا قتلوه حينئذ استحلوا ماله وقد جعلوا هذا شريعة لهم[٣]».

ومن العجاردة.

- **الخلفية:**

وهم أتباع رجل يقال له خلف الخارجى[٤] وقد خالف خلف هذا حمزة

(١) خرج حمزة بن أدرك زمن الرشيد سنة ١٧٩ هـ وظل ردحًا من خلافة المأمون، ثم حاربه «طاهر بن الحسين فشتت جموعه بعد أن أفنى من الفريقين قرابة ثلاثين ألفًا معظمهم من رجال حمزة، على أن طاهرًا هذا لم يستأصل شأفة حمزة فقد فر ثم قاتله من بعده عبد الرحمن النيسابورى وشتت بقية رجال حمزة الذى فر ومات فى هروبه.

(٢) فى اسم أبيه اختلفت الأقلام، فعند الشهرستانى «أدرك»، وعند البغدادى فى الفرق «أكرك» لا أدرك ولعل الصواب أدرك.

(٣) التنبيه والرد للملطى ص ٥٣.

(٤) يقال إن خلف هذا كان من جملة الميمونية، ثم خالفهم فى القدر، وذهب فى القدر مذهب أهل السنة. ومن المعروف أن الخلفية صارت إلى قول الأزارقة فى دخول أطفال مخالفيهم النار».

ابن أدرك فى القول بالقدر واستحقاق الرياسة يجزىء كل واحد منهما عن صاحبه وجوز حمزة إمامين فى عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ولم يقهر الأعداء.

والخلفية «أصحاب خلف الخارجى وهم خوارج كرمان ومكران. خالفوا الحمزية فى القول بالقدر وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى وسلكوا فى ذلك مذهب السنة»[١].

وقال الخلفية[٢] «إن الحمزية ناقضوا حيث قالوا لو عذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم أو على ما لم يفعلوه كان ظالمًا. وقضوا بأن أطفال المشركين فى النار. ولا عمل لهم ولا شرك. فهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض».

والخلفية «لا يرون القتال إلّا مع إمام منهم. وقد كفوا أيديهم لعدم من يصلح للإمامة»[٣].

ومن فرق العجاردة.

- **الثعالبية:**

أتباع ثعلبة بن مشكان[٤] وكان تابعًا لعبد الكريم عجرد يدًا واحدة إلى أن اختلفا فى أمر الطفل فقال ثعلبة:

«أنا على ولا يتهم صغارًا وكبارًا حتى نرى منهم إنكارًا للحق ورضى بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة.. ونقل عنه أيضًا أنه قال ليس لهم حكم فى حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فإن قبلوا فذلك وإن أنكروا كفروا»[٥].

(١) وأما الرازى فإنه يحكى عنهم فى القدر قولاً غير ذلك فيقول «وهم لا يرون أن الخير والشر من الله تعالى».

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ص ١٣٧.

(٣) مختصر الفرق بين الفرق للرسعنى ص ٨٢.

(٤) صاحب الملل والنحل: الشهرستانى يذكر اسمه ثعلبة بن عامر جـ ١ ص ١٣٨.

(٥) المرجع السابق ص ١٣٩.

وهذا الرأى هو ما ذكره الأشعرى[١] أيضًا فى توقف الثعالبة عن البراءة والولاية والعداوة لأطفال المسلمين حتى يبلغوا فيدعوا[٢].

والواضح أن قولى الثعالبة فى الأطفال معتدل عن العجاردة الذين تبرأوا منهم، فالثعالبة بحسب الرأى الأول قالوا بولايتهم وبحسب القول الثانى وقفوا منهم موقفًا سلبيًا فلم يوالوهم ولم يتبرأوا منهم.

ومن العجاردة:

فرقة **الأخنسية:** أصحاب أخنس بن قيس كان فى أول أمره على قول الثعالبة فى موالاة الأطفال ثم رجع عنهم فقال يجب علينا أن نتوقف أى نتوقف عن جميع من فى دار التقية إلا من عرفنا منه إيمانًا فنتولاه أو كفرًا فنبرأ منه.

وقيل إن الأخنسية جوزوا تزويج المسلمات من مشركى قومهم أصحاب الكبائر وقد تبرأ منهم سائرهم.

ومن العجاردة.

المكرّمية: وهم أتباع أبى مكرّم بن عبد الله العجلى وكان من الثعالبة ثم زعم هو وأتباعه أن تارك الصلاة كافر لا لأجل تركه الصلاة لكن لجهله بالله عز وجل. وزعم المكرمية أن كل ذى ذنب جاهل بالله تعالى. والجهل بالله كفر.

ومنهم: المعبدية:

أصحاب معبد بن عبد الرحمن. وكان من الثعالبة هو الآخر، وخالف الأخنس فى تزويج المسلمات من المشركين، وقال بأخذ الزكاة من العبيد

(١) المقالات للأشعرى جـ ١ ص ١٦٧.

(٢) أما الاسفراييني فيقول رأيًا آخر يقول إن ثعلبة اختار أن يتبرأ من أطفال المسلمين وخالف فى هذا عبد الكريم عجرد. فيقول: كان الأخنس على مذهب الثعالبة فى موالاة الأطفال. التبصير.. للاسفراييني ص ٣٣.

وإعطائها لهم وكفرّ سائر الثعالبة حيث لم يقولوا بذلك.

ومنهم **الشيبانية**: أصحاب شيبان بن سلمة الخارجى الذى خرج فى أيام أبى مسلم، وأعان أبا مسلم الخراسانى صاحب الدولة العباسية. وأكفرته الثعالبة والخوارج لمعاونته أبا مسلم، وقُتل عام ١٣٠ هـ.

وكان شيبان الخارجى يقول بمشيئة الله بخلقه، فأكفره سائر الثعالبة وأهل السنّة بقوله بالتشبيه ولأنه ذهب إلى حدوث العلم لله. ومن مذهبه الجبر، وممن أكفر شيبان الزيادية أصحاب زياد بن عبد الرحمن الشيبانى لمناصرته لأبى مسلم.

ومنهم: **الرشيدية**: أصحاب رشيد الطوسى. وكان من جملة الثعالبة. وكانوا يوجبون نصف العشر فيما سقى بالأنهار والقنى. فأخبرهم زياد بن عبد الرحمن أن فيه العشر ولا تجب البراءة ممّن قال فيه نصف العشر قبل هذا .فقال رشيد: إن لم تجز البراءة منهم فإنا نعمل بما عملوا، فافترقوا فى ذلك. فكان من قوله فيما سُقى بالعيون والأنهار نصف العشر، وإنما يجب العشر الكامل فى ما سقته السماء[١].

٢ - الأزارقة:

من هم الأزارقة؟

هم أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى المكنى بأبى راشد[٢] وهو من

(١) ذكر الأشعرى فى مقالاته جـ ١ ص ١٦٨ أن الرشيدية، من الثعالبة تفردوا بأنهم كانوا يؤدون عما سقى بالعيون والأنهار الجارية نصف العشر، ثم رجعوا عن ذلك وكتبوا إلى المسمى زياد بن عبد الرحمن فأجابهم، ثم أتاهم فأعلمهم أن فى ذلك العشر، وأنه لا يجيز البراءة ممن غلط منهم فى ذلك، فقال رجل منهم يسمى «رشيدًا»: إن كان يسعنا ألا نتبرأ منهم فإنا نعمل بالذى يعملون به، وثبت هو ومن معه على الفعل الأول، فبرئت منهم الثعالبة وسموهم «العشرية».

(٢) بايع الأزارقة نافع وسموه أمير المؤمنين. وصاروا أكثر من عشرين ألفًا خرج بهم بالبصرة عام خمس وستين واستولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس وكرمان. وكان مع نافع من أمراء الخوارج عطية بن الأسود الحنفى، وعبد الله بن ماحوز التميمى وأخواه عثمان والزبير، =

بنى حنيفة. وكان قائدًا شجاعًا قويًا قاتل قواد عبد الله بن الزبير وعماله، وقواد الأمويين وعمالهم تسع عشرة سنة.

ولما قتل نافع بن الأزرق أمرت الخوارج عليهم عبد الله بن ماحوز التميمى[٢]. واشتد قتالهم. ولما قتل عبيد الله بن ماحوز أمر الأزارقة عليهم قطرى بن الفجاءة[٣] الذى حاربه المهلب بن أبى صفرة حربًا شديدة حتى

= وعمر بن عمير العنبرى وقطرى بن الفجاءة المازنى وعبيدة بن هلال اليشكرى وأخوه محرز بن هلال وصخر بن حبنا التميمى وصالح بن مخراق العبدى وعبد ربه الصغير.

وكان عامل البصرة حينئذ عبد الله بن الحرث الخزاعى. فأخرج عبد الله بن الحرث جيشًا مع مسلم بن عُبيس بن كُريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة، فاقتتلوا بدولاب الأهواز، فقتل مسلم وأكثر اصحابه.

فخرج إليهم من البصرة عثمان بن عبيد الله بن معمر التيمى فى ألفى فارس، فهزمته الأزارقة. فخرج إليهم حارثة بن بدر الفدانى فى ثلاثة آلاف من جند البصرة فهزمتهم الأزارقة. وكان المهلب بن أبى صفرة يومئذ بخراسان فكلف بحرب الأزارقة فرجع المهلب إلى البصرة وانتخب من جندها عشرة آلاف. وانضم إليه قوم من الأزد. فصار فى عشرين الفًا وخرج وقاتل الأزارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز. ومات نافع بن الأزرق فى تلك الهزيمة. مختصر المقالات ص ٧٣.

(٢) بايعت الأزارقة عبيد الله بن ماحوز التميمى بعد مقتل نافع. وقاتلهم بعد ذلك بالأهواز، فقتل عبيد الله بن ماحوز وقتل أيضًا أخوة عثمان مع ثلاثمائة من أشداء الأزارقة، وانهزم الباقون.

(٣) بعد مقتل ابن ماحوز بايع الأزارقة قطرى بن الفجاءة وسموه أمير المؤمنين وقد قاتلهم المهلب قتالاً عنيفًا وانهزمت الأزارقة إلى سابور [قرب شيراز] من أرض فارس وجعلوها دار هجرتهم وثبت المهلب وبنوه على قتالهم تسع عشرة سنة، بعضها فى أيام ابن الزبير وباقيها فى خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق.

وقرر الحجاج المهلب على حرب الأزارقة وجعل له خراج فارس وكرْمان إلى أن يفرغ من أمر الأزارقة. فدامت الحرب بين المهلب والأزارقة كرًا وفرًا بين فارس والأهواز إلى أن وقع الخلاف بين الأزارقة ففارق عبد ربه الكبير قطريًا فى سبعة آلاف رجل. وفارق عبد ربه الصغير فى أربعة آلاف. وصار كلّ واحد منهما فى ناحية من نواحى كرمان. وبقى قطرى فى بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس. وقاتله المهلب بها، وهزمه إلى أرض كرمان وتبعه وقاتله بأرض كرمان إلى أن هزمه إلى الرىّ ثم قاتل عبد ربه الكبير فقتله. وبعث بابنه يزيد بن المهلب إلى عبد ربه الصغير فأتى عليه وعلى أصحابه.

وبعث الحجاج بسفيان بن الأبرد الكلبى فى جيش كثير إلى قطرى بعد أن انحاز من الرىّ إلى طبرستان فقتلوه بها وانفذوا برأسه إلى الحجاج وكان عبيدة بن هلال اليشكرى الخارجى قد فارق =

قتله. وكان مما حاربهم به المهلب اختلاق الأحاديث عليهم ووضعها «فقد كان يضع الحديث ليشد به أزر قومه ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتد ويقول إن الحرب خُدعة، وكان حى من الأزد إذا رأوا المهلب خارجًا قالوا «راح يكذب» وفيه يقول رجل منهم:

أنت الفتى، كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول[1]

الأزارقة وآراؤهم الكلامية والفقهية

يقال إن أول من أحدث الخلاف بين الخوارج هو نافع بين الأزرق الحنفى ويقال إن سبب الخلاف الذى أحدثه نافع[1] «أن امرأة من أهل اليمن عربية ترى رأى الخوارج، تزوجت رجلاً من الموالى على رأيها، فقال لها أهل بيتها: فضحتنا، فأنكرتْ ذلك، فلما أتى زوجها قالت له: إن أهل بيتى وبنى عمى قد بلغهم أمرى. وقد عيرونى، وأنا خائفة أن أُكْرَهَ على ترويج بعضهم، فاخْتَرْ مِنّى إحدى ثلاث خصال: إما أن تهاجر إلى عسكر نافع حتى نكون مع المسلمين فى حوزهم ودارهم، وإما أن تخبأنى حيث شئت، وإما أن تخلّى سبيلى، فخلّى سبيلها، ثم إن أهل بيتها استكرهوها فزوجوها ابن عم لها لم يكن على رأيها، فكتب ممّن بحضرتها بأمرها إلى نافع بن الأزرق يسألونه عن ذلك، فقال رجل منهم: إنها لم يَسَعْها ما صنعت ولا وسع زوجها ما صنع، من قبل هجرتها، لأنه كان ينبغى لها أن يلحقا بنا، لأنا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة، ولا يسعُ أحد من المسلمين التخلف عنا، كما لم يسع التخلف عنهم، فتابعه على قوله ذلك نافع بن الأزرق وأهل عسكره، إلا نفرًا يسيرًا، وبرئوا من أهل التقية، وأحدثوا أشياءً.

= قطريًا وانحاز إلى منطقة تسمى «قومس» [فى ذيل جبل طبرستان]. فتبعه سفيان بن الأبرد هناك فقتله وقتل أصحابه وخلص الأرض من الأزارقة. المرجع السابق ٧٥/٧٦.

(١) ص ٣١٣ فخر الإسلام أحمد أمين. ويقول الاستاذ أحمد أمين ولعل هذا وأمثاله هو السر فيما ترى من أحاديث كثيرة ملئت بها كتب التاريخ والأدب فى ذم الخوارج.

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعرى جـ ١ ص ١٦١ و ص ١٦٢.

وقد أقام نافع بن الأزرق بموضعه من «الأهواز» واستتب له الأمر هناك. ويومًا ما جاءه مولى لبنى هاشم قال لنافع[1]: «إن أطفال المشركين فى النار، وإن مَنْ خالفنا يا نافع مشرك، فدماء هؤلاء الأطفال المشركين لنا حلال. قال له نافع: كفرت وأدللت على نفسك. قال له: إن لم آتك يا نافع بهذا من كتاب الله فاقتلنى: ﴿قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجرًا كفارًا﴾.

فهذا أمر الكافرين، وأمر أطفالهم. فشهد نافع أنهم جميعًا فى النار ورأى قتلهم. ولهذا فإن الأزارقة من أهم آرائهم المعروفة أن أطفال مخالفيهم مخلدون فى النار، أى «أن الذنب الذى أوجب كفر مخالفيهم يسرى إلى أولادهم، مع أن أولادهم لم يرتكبوه، ولكنه انحراف فكرى من أصحابهم»[2].

وقد قال نافع إن الدار دار كفر [يقصد دار مخالفيهم] إلّا من أظهر إيمانه، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا توارثهم، ومن جاء منهم فعلينا أن نمتحنه، وهم ككفار العرب لا نقبل منهم إلّا الإسلام أو السيف. والقعد[3] بمنزلتهم والتقية لا تحل[4].

ولما خرج عليه نجدة جرى بين نافع بن الأزرق ونجدة جدال طويل، وكتب نافع إلى نجدة يقول «أما هؤلاء القعد[5] فليسوا كمن ذكرت ممّن كان بعهد رسول الله ﷺ لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقًا، وهؤلاء قد فقهوا فى الدين وقرءوا القرآن، والطريق لهم نهج واضح، وقد عرفت ما قال الله عز وجل

(١) الكامل للمبرد (جـ ٢ ص ١٤٧ باختصار وتصرف).

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبو زهرة جـ ١ ص ٨١.

(٣) أى الذى لا يمضون إلى القتال.

(٤) يرى الأزارقة أن التقية لا تجوز مطلقًا لا بالقول ولا بالعمل.

(٥) الأزارقة يرون أن القعدة عن الهجرة إليهم مشركون حتى وإن كانوا على رأيهم. بل أكثر من ذلك فإنهم يرون ضرورة امتحان من يريد الانتماء إليهم قبل قبوله، وذلك بأن يجسر على قتل أسير من مخالفيهم يقدمونه إليه. كما يستبيحون قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم.

فيمن كان مثلهم، إذ قالوا: ﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾ فقيل لهم: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقال: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾. وقال: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ فخبر بتعذيرهم، وأنهم كذبوا إليه ورسوله وقال: ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾. فانظر إلى أسمائهم وسماتهم.

وأما أمر الأطفال فإن نبى الله نوحًا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة منّى ومنك، فقال: ﴿ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ فسماهم بالكفر وهم أطفال قبل أن يولدوا.. فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نكون نقوله فى قومنا؟ والله يقول: ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر﴾، وهؤلاء كمشركى العرب لا نقبل منهم جزية، وليس بيننا وبينهم إلّا السيف أو الإسلام، وأما استحلال أمانات من خالفنا، فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم»[1] ومن ذلك نلاحظ أن الأزارقة «استحلوا خفر الأمانة التى أمر الله سبحانه بأدائها وقالوا: قوم مشركون لا ينبغى أن تؤدى الأمانة إليهم».

ومن آرائهم الفقهية أنهم ينكرون رجم الزانى، فإنهم لا يقرون حد الرجم، ويسقطون حد الرجم عن الزانى المحصن، حيث إن حد الرجم لم يذكر فى القرآن.

وأيضًا فإن الأزارقة أسقطوا الحد عمن يقذف الرجال بخلاف من يقذف النساء حيث إن حد الأول لم يذكر فى القرآن بخلاف الثانى. ومعنى ذلك أنهم أخذوا بظاهر النص القرآنى الشريف ﴿والذين يرمون المحصنات، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا، وأولئك هم الفاسقون﴾، فلم يذكر حد لقذف المحصنين من الرجال فى ظاهر النص الشريف.

وكما أشرنا من قبل فإن الأزارقة كفروا جميع المسلمين ما عداهم وقال

(١) الكامل للمبرد جزء ٢ ص ١٧٨.

نافع ابن الأزرق إنه لا يحل لأصحابه المؤمنين أن يجيبوا أحدًا من غيرهم إلى الصلاة إذا دعاهم إليها، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم، ولا أن يتزوجوا منهم، ولا يتوارث الخارجى وغيره.

ومن مبادئ الأزارقة أنهم يقولون: إن عليًا «كرم الله وجهه» كافر[1] وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فى شأنه ﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام﴾.

وأن قاتل «على» «عبد الرحمن بن ملجم» كان على حق فى رأيهم وأن الله سبحانه وتعالى أنزل فى شأنه ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ ثم كفر الأزارقة عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن العباس رضى الله عنهم ثم سائر من خالفهم من المسلمين كما ذكرنا.

ومن مبادئهم أيضًا قولهم إنه يجوز على الأنبياء أن يرتكبوا الكبائر والصغائر، وكما يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله «وإن ذلك بلا ريب من المتناقضات فى أقوالهم، إذ أنهم بينما يكفرون مرتكب الكبيرة يجوزونها على الأنبياء فالنبى قد يكفر ثم يتوب، وذلك أخذوه من ظاهر قول الله تعالى: ﴿إنّا فتحنا لك فتحًا مبينًا. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾»[2].

والحق أن أخذهم كثيرًا بظاهر النص جعلهم - غالبًا - لا يدركون حقيقة جوهر النص ومراميه. ولو أنهم وعوا أسباب تنزيل الآيات وعرفوا المحكم والمتشابه، وأسرار اللغة العربية ما وقعوا أبدًا فيما وقعوا فيه لحماسهم الفكرى وعنادهم العجيب.

(١) الذى يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها: إكفار الإمام على وسيدنا عثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الحاكم الجائر.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية جـ ١ ص ٨١.

٣ - النجدات:

هم أتباع نجدة بن عامر الحنفى وكان السبب فى زعامته أن نافعًا بن الأزرق لما أظهر البراءة من القاعدين عن القتال وإن كانوا على رأيه وسماهم المشركين واستحل قتل الأطفال والنساء من المخالفين فارقه جماعة منهم نجدة ابن عامر الذى خرج على نافع بن الأزرق وذهب إلى اليمامة، وكتب إليه يقول بعد أن ذكر منزلته فى التقوى والعدل من قبل (تجرد لك الشيطان، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومنَ أصحابك، فاستمالك، واستهواك، واستغواك، وأغواك فغويت).

فأكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾ ثم سماهم أحسن الأسماء فقال: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾.

ثم استحللت قتل الأطفال، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم، وقال تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وقال فى القعد خيرًا، وفضل الله من جاهد عليهم، ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه. أو مَا سمعت قوله عز وجل: ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله﴾، فجعلهم الله من المؤمنين، وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم.. ورأيت ألاّ تؤدى الأمانات إلى أهلها، فاتق الله، وانظر لنفسك واتق يومًا لا يجزى والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا، فإن الله عز ذكره بالمرصاد، وحكمه العدل، وقوله الفصل»[١].

(١) جـ ٢ ص ١٧٧ ولقد سبق لنا ذكر رد نافع على مكاتبة نجدة الذى قال فيه نافع «أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممّن كان بعده رسول الله ﷺ. لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلاً، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقًا، وهؤلاء قد فقهوا فى الدين، وقرءوا القرآن، والطريق لهم نهج واضح، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم، إذ قالوا: ﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾ فقيل لهم: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وقال: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم =

وقد كان بين ابن عباس وبين نجدة بن عامر مساجلات، فمِمَّا يروى أن نجدة، قال لابن عباس: كيف معرفتك بربك، لأن من قبلنا اختلفوا علينا، فقال ابن عباس: «إن من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر فى التباس، قائلاً عن المنهاج، طاعنًا فى الاعوجاج. أعرفه بما عرف به نفسه من غير روية، وأصفه بما وصف به نفسه»[١].

وكان من شأن نجدة بن عامر الحنفى أنه خرج عن نافع، «فخرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالأزارقة فاستقبله «أبو فديك»[٢] وعطية ابن الأسود الحنفى[٣] فى الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق[٤] فأخبره بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الأحداث والبدع التى أحدثها وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين»[٥].

ويقال أيضًا إن أتباع نجدة كانوا فى الأصل باليمامة مع أبى طالوت الخارجى ولكنهم تركوه. وبايعوا نجدة سنة ست وستين فعظم أمره وأمرهم، فاستولى على البحرين وحضرموت واليمن والطائف.

ولما بعث بعثًا إلى أهل القطيف، «واستعمل عليهم ابنه، فقتل وسبى وغنم، فأخذ ابن نجدة وأصحابه عدة من نسائهم فقدموا كل واحدة منهن بقيمة على

= خلاف رسول الله﴾ وقال: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ فخبر بتعذيرهم، وأنهم كذبوا الله ورسوله، وقال ﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ فأنظرْ إلى أسمائهم وسماتهم.

وأما أمر الأطفال فإن نبى الله نوحًا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة منى ومنك، فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا﴾ فسماهم بالكفر وهم أطفال قبل أن يولدوا. فكيف كان ذلك فى قوم نوح ولا نكون نقوله فى قومنا؟ والله يقول: ﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر﴾ وهؤلاء كمشركى العرب لا نقبل منهم جزية، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام. وأما استحلال أمانات من خالفنا فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماؤهم الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٧٨.

(١) صون المنطق والكلام للسيوطى ص ٥٠.

(٢) زعيم الفديكية فيما بعد حين يخرج على نجدة ويقتله.

(٣) زعيم العطوية فيما بعد. وأبرز الخارجين على نجدة بعد ذلك.

(٤) وخالفوا نجدة فيما بعد.

(٥) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣.

أنفسهم، وقالوا: إن صارت قيمتهن فى حصتنا فذاك، وإن لم تصر أدينا الفضل، فنكحوهن قبل أن يقسمن، وأكلوا من الغنائم قبل أن تقسم ثم رجعوا إلى نجدة فأخبروه بذلك، فقال نجدة: لم يَسَعْكم ما صنعتم، فقالوا: لم نعلم أنه لا يسعنا، فعذرهم نجدة بجهالتهم، فتابعه على ذلك أصحابه وعذروا بالجهالات، إذا أخطأ الرجل فى حكم من الأحكام من جهة الجهل، وقالوا: الدين أمران:

أحدهما معرفة الله ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين وأموالهم، وتحريم الغصب، والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب، وما سوى ذلك فالناس معذورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة فى جميع الحلال، فمن استحل شيئًا من طريق الاجتهاد مما لعله محرّم فمعذور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه»[1].

ومن ذلك نلاحظ أن هناك فرق بين منهج الأزارقة والنجدات فى مسألة الاجتهاد. فالأزارقة لا تعتبر الاجتهاد أصلًا فى الأحكام حتى أنه عند الأزارقة أن ما لا ينص عليه من الأحكام ليس بواجب القيام به كحد من يقذف الرجال. وأما النجدات فقد اهتموا بالاجتهاد أعظم الاهتمام حتى أنه عندهم أن من اجتهد فى شىء وأخطأ فيه فهو معذور بل جعلوا نصف الدين يعرف عن طريق الاجتهاد.

حتى أنهم قالوا «ومن خاف العذاب على المجتهد فى الأحكام المخطئة قبل أن تقوم عليه الحجة فهو كافر»[2].

وهناك فرق آخر بين الأزارقة والنجدات فالأزارقة جعلوا الإيمان قولًا وعملًا بينما النجدات جعلوا الدين معرفة وإقرارًا وهذا القدر من الدين الذى هو إقرار بما جاء من عند الله ومعرفة الله تعالى ومعرفة رسله هو الأصل فى

(١) مقالات جـ ١ ص ١٦٢ و ص ١٦٣.
(٢) مقالات جـ ١ ص ١٦٣.

الدين وأما غيره فهو موقوف على الاجتهاد[1].

ولقد أحدث النجدات مبدأ لا يوجد عند غيرهم من الخوارج وهو جواز التقية. وذلك بأن يظهر الخارجى أنه مع الجماعة حقنًا لدمه ومنعًا للاعتداء عليه، فيجوز له إخفاء عقيدته حتى يأتى الوقت الملائم لإظهار حقيقة عقيدته وذلك لفهمهم غير السليم لقول الله تعالى ﴿إلّا أن تتقوا منهم تقاة﴾.

وحكى عن النجدات أنهم «استحلوا دماء أهل المُقام وأموالهم فى دار التقية، وبرئوا مِن حرّمها، وتولوْا أصحاب الحدود والجنايات من موافقيهم.

وقالوا لا ندرى لعل الله يعذب المؤمنين بذنوبهم، فإن فعل فإنما يعذبهم فى غير النار بقدر ذنوبهم، ولا يخلدهم فى العذاب، ثم يدخلهم الجنة»[2].

ومعنى ذلك أن نجدة بن عامر الحنفى «تولى أصحاب الحدود من أصحابه وقال: لعل الله يعفو عنهم، وإن عذبهم ففى غير النار. ثم يدخلهم الجنة. وهو فى ذلك يخالف المبدأ العام وهو تكفير مرتكب الذنب وكأن نجدة بهذا يرى أنه إذا كان مرتكب الذنب من المنتمين للخوارج فقد عفا الله عنهم. وأما غيرهم فجنس آخر لا يعفو الله عنه»[3].

ومن عجيب آراء النجدات تعظيمهم جريمة الكذب على شرب الخمر والزنى فقد زعموا أن من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة ثم أصرّ عليها فهو مشرك[4] وأن من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر عليه فهو

(١) وقد اشرنا من قبل إلى أن النجدات خالفوا الأزارقة، فى تكفيرهم الخوارج واستحلال قتل الأطفال كما خالفوهم فى حكم أهل الذمة الذين يكونون مع مخالفيهم، فالأزارقة قالوا إنه لا يباح دماؤهم احترامًا لذمتهم التى دخلوا بها فى أمان أهل الإسلام. وقال النجدات أنه يباح دماؤهم كما أبيحت دماء من يعيشون فى كنفهم من المسلمين.
(٢) مقالات جـ ١ ص ١٦٣.
(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبو زهرة جـ ١ ص ٨٢.
(٤) من أصر على الصغيرة مشرك عند النجدات.

مسلم[١] إذا كان من موافقيهم. ويقال إن نجدة أسقط حد الخمر. ومن مبادئهم أيضًا أنهم يرون أن إقامة إمام ليست واجبًا وجوبًا شرعيًا بل هى واجب وجوبًا مصلحيًا، أى أنهم يرون أنه إذا أمكن للمسلمين أن يتواصوْا بينهم بالحق وينفذوه فهم فى هذه الحالة ليسوا فى حاجة إلى إقامة إمام، ما داموا قد تناصفوا فيما بينهم. فإذا أقاموه جاز.

ومن مبادئ الخوارج أنه من ثقل عن هجرتهم فهو منافق والنجدات كغيرهم من الخوارج عادة ما يختلفون فى أمر ما فيتقاتلون وينقسمون إلى شعب جديدة.

ولقد قتل أبو فديك نجدة بن عامر[٢]، «ثم إن أصحاب نجدة أنكروا ذلك على أبى فديك، وتولوا نجدة، وتبرءوا من أبى فديك، وكتب أبو فديك إلى

(١) لقد ظل النجدات على إمامة نجدة إلى آن اختلفوا عليه فى أمور نقموها منه، فصاروا ثلاث فرق: فرقة صارت مع عطية بن الأسود الحنفى إلى سجستان وتبعهم خوارج سجستان، وفرقة صاروا مع أبى فديك حربًا على نجدة. وهم الذين قتلوا نجدة، وفرقة عذروا نجدة، فى إحداثه وأقاموا على إمامته. والذى نقموا على نجدة أنه بعث جيشًا فى غزو البر وجيشًا فى غزو البحر، ففصل اللذين بعثهم فى البر فى الرزق والعطاء. ومنها أنه بعث جيشًا إلى مدينة الرسول ﷺ فأصابوا منها جارية من أولاد سيدنا عثمان بن عفان. فكتب إليه عبد الملك فى شأنها، فاشتراها من الذى كانت فى يده وردها إلى عبد الملك. وقالوا إنك رددت جارية لنا على عدونا. ومنها أنه عذر أهل الخطأ فى الاجتهاد وبالجهالات.. فاستتابه أكثر أتبعه من الأحداث وقالوا له أخرج إلى المسجد وتب من أحداثك، ففعل ذلك. ثم إن قومًا منهم ندموا على استتابته وانضموا إلى العنادين له، وقالوا له «أنت الإمام، ولك الاجتهاد، ولم يكن لنا أن نستتيبك، فتب من توبتك ، واستتب الذين استتابوك وإلّا نابذناك». ففعل ذلك. فافترق عليه وخلفه أكثرهم، وقالوا له «اختر لنا إمامًا فاختار لهم أبا فديك».

وصار راشد الطويل مع أبى فديك. فلما استولى على اليمامة علم أن أصحاب نجدة إذا عادوا من غزواتهم أعادوا نجدة إلى الإمامة. فطلب نجدة ليقتله. فاختفى نجدة فى بعض دور عاذريه ينتظر رجوع عساكره الذين كان فرقهم فى سواحل الشام واليمن. ونادى منادى أبى فديك «من دلنا على نجدة فله عشرة آلاف درهم، واى مملوك دلنا عليه فهو حر» فدلك عليه أمة للذين نجدة عندهم فأنفذ أبو فديك راشدًا الطويل فى عسكر إليه فحمل رأسه إلى أبى فديك. وبويع له.

وبعث عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى فى جيش، فقتلوا أبا فديك وبعثوا برأسه إلى عبد الملك [مختصر الفرق بين الفرق ص ٧٨ ص ٧٩].

(٢) المقالات جـ ١ ص ١٦٤.

عطية بن الأسود عامل نجدة «بالحوير» يخبره أنه أبصر ضلالة نجدة، فقتله، وأنه أحق بالخلافة منه، فكتب عطية إلى أبى فديك أن يبايع له مَنْ قتله، وأبى ذلك أبو فديك، فبرئ كل واحد منهما من صاحبه، وصارت الدار لأبى فديك، وصاروا معه، إلّا من تولى نجدة، فصاروا ثلاث فرق: «النجدية» و «العطوية»[١] و «الفديكية»[٢].

٤ - الصفرية:

هم أتباع «زياد بن الأصفر»[٣] ويقال إن الصفرية نسبوا إلى رجل يقال له «عبيدة» وكان ممن خالف نجدة ورجع من اليمامة.

وعند البغدادى «أن قول الصفرية كقول الأزارقة غير أنهم خالفوهم فى قتل الأطفال والنساء»[٤]. فالصفرية لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم.

ولقد ظهر الصفرية حين خالف عبد الله بن الصفار نافعًا بن الأزرق حول مسألة القعدة أيضًا سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م. وقد اتخذ الصفرية فى هذه المسألة موقفًا وسطًا بين الأزارقة المتطرفين والإباضية المعتدلين «فلم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد»[٥].

(١) العطوية: أصحاب عطية بن الأسود الحنفى وكانوا مِمَن خالفوا نجدة بن عامر الحنفى وفارقه ومضى إلى سجستان، وعطية لم يحدث قولاً أكثر من أنه أنكر على نافع بن الأزرق ما أحدثه من أقاويله بالإضافة إلى مخالفته نجدة بن عامر الحنفى.

(٢) الفديكية: هم أتباع أبى فديك الذى قتل نجدة بن عامر الحنفى. وتبرأ من نجدة. والفديكية أكفروا نجدة.

ومن فرقته راشد الطويل وأبى الشمراخ صاحب الشمراخية «الذى كان يقول إن دماء قومه حرام فى السر، حلال فى العلانية، وإن قتل الأبوين حرام فى دار التقية والهجرة وإن كانا مخالفين، والخوارج تبرأ منه» مقالات ١٨٤.

(٣) ذكر الملطى فى التنبيه والرد: ص ٥٢ الصفرية: وهم أصحاب المهلب بن أبى صُفرة. وهذا خطأ فقد كان المهلب يحارب الخوارج ولا يحارب عنهم. وكان المهلب من أكبر أعداء الخوارج.

(٤) مختصر كتاب الفرق بين الفرق للرسعنى ص ٨٠.

(٥) الملل للشهرستانى ص ١٢٣.

يقول الدكتور محمود عبد الرازق[٢] «إن عقائد الصفرية تمثل تطورًا عمليًا ملحوظًا فى فكر الخوارج وعقائدهم، إذ تجنح إلى التخفيف من غلواء التطرف الذى أفضى بحركاتهم إلى الفشل من قبل. فهم لم يسقطوا الرَّجْم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم كالأزارقة، كما نادوا بجواز التقية فى القول دون العمل [٣] وأجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية[٤] دون دار العلانية.

وقد كفل لهم ذلك معايشة الجماعة الإسلامية بدلاً من اشهار عدائهم لها، الأمر الذى أتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة. لكنهم كانوا أكثر تطرفًا من الإباضية فى موقفهم من مرتكبى الكبائر، ومن ثم مسألة «الكفر والإيمان»، فبينما رأى الإباضية أنهم موحّدون. قال الصفرية بتكفيرهم»[٥].

والحقيقة أننا نلاحظ أن فكر الصفرية أكثر تسامحًا من كثير من فرق الخوارج الأخرى. رأينا ذلك فى أنهم لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم فى النار[٦].

ولقد ذهب الصفرية إلى أنه ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الإثم الذى لزمه بالحد.. زانيًا، سارقًا، قاذفًا.. لا كافرًا مشركًا. وأما ما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره فإنه يكفر بذلك كمن يترك الصلاة مثلاً.

والصفرية يذهبون إلى أن «الشرك شركان، شرك يكون بطاعة الشيطان، وشرك يكون بعبادة الأوثان، وكذلك الكفر كفران، كفر يكون بإنكار النعمة،

(١) فى كتابه الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى. ص ٤٥ و ص ٤٦.
(٢) اعتقادات فرق المسلمين. الرازى: صفحة ٥١.
(٣) الرازى. صفحة ١٢٢، ملل الشهرستانى ص ١٤٣ جـ ١.
(٤) الرازى صفحة ١٢١.
(٥) لكنا نلاحظ أن حكمهم على آبائهم لم يتغير قال عبيدة وهو من أسس الصفرية بجملة مذهب الخوارج: من أن مخالفيهم مشركون، السيرة فيهم، السيرةُ من أهل حرب رسول الله ﷺ الذين حاربوه من المشركين» ص ١٦٩: جـ ١: مقالات الأشعرى.

وكفر يكون بإنكار الربوبية»[١] كما أن البراءة عندهم براءتان براءة ممن يرتكبون المخالفات جحودًا وهى مزيفة. ونلاحظ أن الصفرية فرقوا بين من يرتكب المنكر جاحدًا لحكمه أو يترك المأمور به جاحدًا للأمر به، وبين من يفعل الأول ويترك الثانى غير جاحد لما أمر به وما نهى عنه.

ومن هذا كله نجد عدم غلو واضح فى فكر الصفرية ومبادئهم.

المبحث الخامس

مناقشة لأهم أفكار وآراء الخوارج في ضوء الفكر الإسلامي الصحيح

عاشت مبادئ وأفكار الخوارج في عالمنا الإسلامي ردحًا قليلاً من الزمن لأن أفكارهم اتسمت بالعنف وتكفير غيرهم. ولم يبق من فرق الخوارج حتى الآن إلا فرقة الإباضية المعتدلة كما ذكرنا من قبل.

ونستطيع أن نفند معظم آراء الخوارج حين نناقشها في ضوء الفكر الإسلامي الصحيح.

فإذا كان من مبادئهم المعروفة حلّ قتل مخالفيهم. فإن الدين العظيم لا يحل دم مؤمن إلا بثلاثة خلال: الرجم للزاني المحصن، أو قتل نفس عمدًا فيقتل القاتل جزاء وفاقًا، وإذا ارتد الإنسان بعد إيمان فيقتل لارتداده.

أما مسألة ولا يتهم للشيخين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وتكفيرهم لذي النورين والإمام عليّ كرم الله وجهه لأن عثمان ولىّ عمالاً من أقاربه فجار بعضهم وحكّم بغير ما حكم الله فكفر في رأيهم ولأن عليًا حكّم الحكمين وخلع نفسه عن إمارة المؤمنين وحكم في دين الله فكفر في رأيهم.

فهذه قضية أشرنا من قبل إليها وعرفنا كيف رد عليهم الإمام علي وابن عباس وبينا لهم الخطأ الواضح في رأيهم لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل الحكم إلى عباده في كثير من الأمور الحياتية والسياسية.

ثم أليس عثمان وعلي كانا أميرين للمؤمنين بالإجماع. قال الخوارج بل كانا أميرين للمؤمنين بإجماع ثم كفرا. «فالإجماع على إيمانهما وولايتهما ثابت حتى

يجىء إجماع مثله فيزيل ولايتهما وإيمانهما، ويثبت كفرهما، فلا حجة لهم بعد هذا البيان فى تكفيرهما»[١].

إن عثمان وعلى رضى الله عنهما وليا أمر المسلمين بالإجماع وما دام الأمر كذلك فلا يحق لأحد أن ينازعهما الأمر إلا أن يرى منهما كفرًا بواحًا ظاهرًا ولم يُعرف عنهما - رضى الله عنهما - أبدًا ذلك. روى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، فى العسر واليسر، والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ولا نخاف فى الله لومة لائم» وفى رواية: «وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان».

وإذا كان صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى كافرًا، ولا يجوز أن يجرى عليه أحكام الكفرة فكيف يستحق الإمامان الجليلان عثمان وعلى أن يحكم عليهما الخوارج بالكفر. وهما ليسا من أصحاب الكبائر وإذا كان أصحاب الكبائر لا يحق لنا أن نطلق عليهم كفارًا فمن باب أَوْلى من بُشرًا بالجنة لا يجوز لنا أن نطلق عليهما كفارًا أو نحكم عليهما بالكفر. وهما صحابيان شريفان والرسول ﷺ يحذرنا ويقول «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضًا بعدى. مَنْ آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه. فاتقوا الله ثم اتقوا الله»[٢].

والخوارج لم يكفروا «عثمان» و «عليًا» فقط بل كفروا أصحاب الجمل، وفيهم نفر من صحابة رسول الله ﷺ ثم إن أصحاب الجمل لم يقتلوا المؤمنين عمدًا وإنما قتالهم فيه قتال البغاة وهم مؤمنون. يقول تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ فأصحاب الجمل قاتلوا على هذا المعنى فلا يحق للخوارج أن يطلقوا عليهم لقب الكفر لأن منهم سابقون أَوَّلون للإسلام من

(١) التنبيه والرد للملطى ص ٥٠.

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن جـ٩ ص ٣٨٦٠.

المهاجرين والأنصار. يقول تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، رضى الله عنهم ورضوا عنه، وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا. ذلك الفوز العظيم﴾ التوبة: ١٠٠ وفى أصحاب الجمل من بايع تحت الشجرة. ولقد روى أبو داود والترمذى وصححه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة». وقال تعالى: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا.. ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزًا حكيمًا﴾ . «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم»[١].

وقال الإمام أبو زرعه الرازى وهو من أجل شيوخ البخارى: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن الكريم حق وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح بهم ألصق، والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق.

وقال الإمام أحمد: إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام وقال الإمام مالك: من شتم البنى ﷺ قتل ومن سب أصحابه أدب.

وقال اسحق ابن راهويه: من شتم أصحاب النبى ﷺ يعاقب ويحبس.

وقال القاضى أبو يعلى: الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة إن كان مستحلا لذلك كفر وإن لم يكن مستحلا فسق.

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسى: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا، قال تعالى: ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم

(١) رواه الترمذى فى المناقب ص ٥٩.

درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى﴾. وقال تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التى أثبتت لكل منهم الحسنى وهى الجنة، ولا يتوهم أن التقييد بالانفاق أو القتال فيها وبالإحسان فى «الذين اتبعوهم بإحسان يخرج من لم يتصف منهم لأن تلك القيود خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم لها على أن المراد من اتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم.

يقول تعالى: ﴿يوم لا يُخْزِى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانِهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير﴾.

والله سبحانه لم يزل راضيًا عنهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ ومعلوم أن الرضا من الله تعالى لا يكون إلا على مَنْ علم موته على الإيمان والإسلام ﴿السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جناتٍ تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم﴾.

وفى شرح جوهرة التوحيد: «واختلف فى ساب الصحابى، فقال عياض: قال يعزر، وقال بعض المالكية: يقتل، وخصّ بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسين، وقواه السبكى فيمن كفر الشيخين، وفيمن كفر من صرح الرسول ﷺ بإيمانه أو بتبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر به»[1].

وقد رد على الخوارج فى مسألة تكفيرهم صاحب الكبيرة القاضى عبد الجبار المعتزلى فى شرح الأصول الخمسة فقال[2]: «إن صاحب الكبيرة لا يسمى كافرًا لأن الشرع جعل اسم الكفر على من يستحق العقاب العظيم،

(١) شرح جوهرة التوحيد ص ٣٢٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧١٢.

ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة والدفن فى مقابر المسلمين، ومعلوم أن صاحب الكبيرة مِمّن لا يستحق العقاب العظيم، ولا تجرى عليه هذه الأحكام، فلم يجز أن يسمى كافرًا.

والأصل فى الكلام على الخوارج أن نحقق عليهم الخلاف، فنقول إن هذا الخلاف إما أن يكون خلافًا من جهة اللفظ، أو من طريق المعنى. فإن خالفتمونا من حيث اللفظ وقلتم: إن صاحب الكبيرة يسمى كافرًا فلا يصح لأنا قد ذكرنا أن الكافر اسم لمن يستحق العقاب العظيم، ويستحق أن تجرى عليه هذه الأحكام المخصوصة وليس كذلك الفاسق.

وإن خالفتمونا من جهة المعنى، وقلتم: إنه يستحق العقاب العظيم، ويستحق إجراء هذه الأحكام عليه كالكافر سواء قلنا إن هذا خلاف ما عليه الصحابة والتابعون، فإنهم اتفقوا على أن صاحب الكبيرة لا يحرم الميراث ولا يمنع من المناكحة والدفن فى مقابر المسلمين، هذا على الجملة.

وإذا أردت تفصيل ذلك: فعليك بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام فى أهل البغى. ومعلوم أنه لم يبدأ بقتالهم ولم يتبع مدبريهم، وكذلك لم يسمهم كفرة.

ولهذا فإنه لما سئل عليه السلام عنهم: أكفارهم؟ قال: من الكفر فرّوا فقالوا: أمسلمين هم؟ قال: لو كانوا مسلمين ما قاتلناهم، كانوا إخواننا بالأمس بغوا علينا، فلم يسمّهم كفارًا ولا مسلمين، وإنما سمّاهم: بغاة، وقوله عليه السلام – حجة، غير أن الاحتجاج به على الخوارج غير ممكن، فإنهم ربما يكفرونه، وربما يتوقفون فى إسلامه.

وأحد ما يدل على أن صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى كافرً، آية اللعان[1]، فإن اللعان إنما ثبت بين الزوجين فلو كان القذف كفرًا، لكان لابد

(١) وهى قول الله تعالى فى سورة النور ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ ٦: ٩ النور.

من أن يخرج أحد الزوجين بفسقه عن الإسلام فتنقطع بينهما عصمة الزوجية، فلا يحتاج إلى اللعان، فكأنه لم يشرع بين الأجنبية، وإنما يجرى بين الزوجين.

فصحَّ بهذه الجملة: «أن صاحب الكبيرة لا يجوز أن يسمى كافرًا، ولا يجوز أن يجرى عليه أحكام الكفرة»[١].

ومن المعروف أن الخوارج يعتبرون أن كل من خالفهم فى عقيدتهم ومبادئهم فهو كافر، بالإضافة إلى أن كل مرتكب لكبيرة فهو كافر فى رأيهم قياسًا على فهمهم الخاطئ لقول الله تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ [المائدة: ٥]. وقوله تعالى ﴿إنا هديناه السبيل إمّا شاكرًا وإما كفورًا﴾.

وقوله ﴿وهو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ فلم يجعل الله بين الكفر والإيمان منزلة ثالثة فى رأيهم.

يقول الخوارج «ومن كفر وحبط عمله فهو مشرك والإيمان رأس الأعمال، وأول الفرائض فى عمل، ومن ترك ما أمره الله به فقد حبط عمله وإيمانه، ومن حبط عمله فهو بلا إيمان، والذى لا إيمان له مشرك كافر»[٢].

يقال لهم أى: [للخوارج][٣]: «أخطأتم القياس وتركتم طريق العلم، وذلك أن الله عز وجل بين فى كتابه المحكم أن الفاسق له منزلة بين الإيمان والكفر[٤] بقوله: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون﴾ ٤ - النور، ولم يقل: إنهم مع فسقهم مؤمنون كما قالت المرجئة، ولا قال إنهم مع فسقهم كفار كما قلتم [يقصد الخوارج] أنتم، وأثبت لهم اسم الفسق فقط، فهم فساق لا مؤمنون ولا كافرون كما قال الله عز وجل وأجمعت عليه الأمة، والأمة

(١) فكيف يستحق ختنا رسول الله ﷺ (عثمان وعلى) أن يطلق عليهما أحد لفظ الكفر وهما لم يرتكبا كبيرة من الكبائر!!

(٢، ٣) الملطى: الرد والتنبيه ص ٥٩ وص ٥٠.

(٤) وفى ذلك نلحظ اتجاه الملطى هنا إلى رأى المعتزلة فى القول بالمنزلة بين المنزلتين.

مجمعة على اسم الفسق لأهل الكبائر وإنما هو اسم ومنزلة بين الكفر والإيمان أجمعت الأمة على ذلك، وإنما ذهب من ذهب إلى تكفير أهل الكبائر من أهل القبلة بعد القول بفسقهم، وكذلك المرجئة إنما سموا أهل الكبائر مؤمنين بعدما سموهم فاسقين لأن الله عز وجل سماهم فاسقين ولم يتهيأ لهم أن يزيلوا اسم الفسق عنهم، فاجتمعوا على فسقهم، ثم افترقوا إلى غير ذلك.

ويقال للخوارج أيضًا: «لَمَا صيرتم الكبائر والصغائر شيئًا واحدًا والله عز وجل قد فرّق بين الصغائر والكبائر بقوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهَوْن عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلًا كريمًا﴾ ٣١ النساء، يعنى من لم يعمل الكبائر، فإن حاولوا حجة فى تكفير الأمة لم يجدوا. وإن جعلوا الذنوب كلها كبائر لم يجدوا إلى الحجة سبيلًا من عقل ولا سمع».

ومن ذلك كله يتضح لنا مدى خطأ الخوارج فى تكفيرهم الأمة وتكفيرهم من قبل عثمان وعلى وأصحاب الجمل. وفى تكفيرهم مرتكبى الكبائر لأن العمل بأوامر الدين جزء من الإيمان عند الخوارج وليس الإيمان الاعتقاد وحده، فمن اعتقد عندهم أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو عند الخوارج كافر. ولذلك نلاحظ أن الخوارج يعتبرون أن من ارتكب معصية خرج من الإسلام إلى الكفر إلا إذا تاب مستندين فى ذلك إلى فهم خاطئ لقول الله تعالى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة ٤٤، وبالنسبة للآية يقول الإمام الفخر الرازى[١]. فى قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ فيه مسألتان..

الأولى: المقصود من هذا الكلام تهديد اليهود فى إقدامهم على تحريف حكم الله تعالى فى حد الزانى المحصن، يعنى أنهم لمّا أنكروا حكم الله المنصوص عليه فى التوراة وقالوا: إنه غير واجب، فهم كافرون على الإطلاق، لا يستحقون اسم الإيمان لا بموسى والتوراة ولا بمحمد والقرآن.

(١) التفسير الكبير للرازى جـ١٢ ص٥، وص٦.

المسألة الثانية: قال الخوارج: كل من عصى الله فهو كافر. وقال جمهور الأئمة: ليس الأمر كذلك، أما الخوارج فقد احتجوا بهذه الآية وقالوا: إنها تنص فى أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافرًا.

وذكر المتكلمون والمفسرون أجوبة عن هذه الشبهة:

الأول: أن هذه الآية نزلت فى اليهود فتكون مختصة بهم، وهذا ضعيف لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومنهم من حاول دفع هذا السؤال فقال: المراد ومن لم يحكم من هؤلاء الذين سبق ذكرهم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، وهذا أيضًا ضعيف لأن قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ كلام أدخل فيه كلمة «من» فى معرض الشرط، فيكون للعموم. وقول من يقول: المراد ومن لم يحكم بما أنزل الله من الذين سبق ذكرهم فهو زيادة فى النص وذلك غير جائز.

الثانى: قال عطاء: هو كفر دون كفر، وقال طاوس: ليس بكفر ينقل عن الملة كمن يكفر بالله واليوم الآخر، فكأنهم حملوا الآية على كفر النعمة لا على كفر الدين، وهو أيضًا ضعيف، لأن لفظ الكفر إذا أطلق انصرف إلى الكفر من الدين.

والثالث: قال الأنبارى: يجوز أن يكون المعنى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهى أفعال الكفار، ويشبه من أجل ذلك الكافرين، وهذا ضعيف أيضًا لأنه عدول عن الظاهر.

والرابع: قال عبد العزيز بن يحيى الكنانى: قوله ﴿بما أنزل الله﴾ صيغة عموم، فقوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ معناه من أتى بضد حكم الله تعالى فى كل ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، وهذا حق لأن الكافر هو الذى أتى بضد حكم الله تعالى فى كل ما أنزل الله تعالى، أما الفاسق. فإنه لم يأت بضد حكم الله إلا فى القليل، وهو العمل، أما فى الاعتقاد والإقرار فهو موافق، وهذا أيضًا ضعيف، لأنه لو كانت هذه الآية وعيدًا مخصوصًا بمن خالف حكم

الله تعالى فى كل ما أنزل الله تعالى لم يتناول هذا الوعيد اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله فى الرجم، وأجمع المفسرون على أن هذا الوعيد يتناول اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله تعالى فى واقعة الرجم، فيدل على سقوط هذا الجواب.

والخامس: قال عكرمة: قوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية. وهذا هو الجواب الصحيح عند الفخر الرازى.

وقال الإمام الطبرى فى تفسيره[1] «وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل الكفر فى هذا الموضع فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك من أنه عنى به اليهود الذين حرفوا كتاب الله وبدلوا أحكامه» عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ فى قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ وقوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ وقوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾. فى الكافرين كلها. وعن الضحاك نزلت هؤلاء الآيات فى أهل الكتاب وقيل ليست فى أهل الإسلام منها شىء، إنما هى فى الكفار إلا أن يفعل أهل الإسلام ذلك استخفافًا أو استحلالاً أو جحدًا».

ومن هنا فإننا نرى أن المسلم العاصى مرتكب الكبيرة عند الخوارج لا يصح تكفيره كما يرى الخوارج. فتكفير المؤمن لا يصح لأنه كان بتأويل منهم غير صحيح. وإن موقف القاضى عبد الجبار المعتزلى فى مسألة مرتكب الكبيرة واضح وعميق فيقول:[2] «هذه المسألة تُلَقّب بمسألة الأسماء والأحكام. وقد اختلف الناس فيها، فذهب الخوارج إلى أن صاحب الكبيرة كافر. وذهب المرجئة إلى أنه: مؤمن، وذهب الحسني البصرى إلى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، وإنما يكون منافقًا، إلى هذا ذهب عمرو بن عبيد المعتزلى. وذهب واصل بن عطاء المعتزلى إلى أن صاحب الكبيرة؛ لا يكون مؤمنًا ولا كافرًا ولا منافقًا،

(١) المجلد الرابع جـ٦ ص١٦٣ باختصار.

(٢) شرح الأصول، الخمسة: ص١٣٧: ص١٤١ باختصار.

بل يكون فاسقًا. وهذا المذهب أخذه عن أبى هاشم الجبائى: عبد الله بن محمد بن الحنفية، وكان من أصحابه ويقول القاضى عبد الجبار: والمخالف فى هذا الباب لا يخلو، إما أن يقول: إن صاحب الكبيرة: منافق. وذلك لا وجه له، لأن المنافق اسم لمن يبطن الكفر ويظهر الإسلام، وليس هذا حال صاحب الكبيرة، أو يقول: إنه كافر على ما تقوله الخوارج. والكلام عليه أن نقول: ما تعنى به؟ أتريد أن حكمه حكم الكافر حتى لا يناكح ولا يورث ولا يدفن فى مقابر المسلمين، أو تريد أنه يسمى كافرًا وإن لم تجر عليه هذه الأحكام؟ فإن أردت به الأول فذلك ساقط، لأننا نعلم ضرورة من دين الأمة: أن صاحب الكبيرة، لا تجرى عليه هذه الأحكام.

وإن أردت به الثانى فذلك لا يصح أيضًا، لأن الكفر صار بالشرع اسمًا لمن يستحق إجراء هذه الأحكام عليه. فكيف يجوز إطلاقها على من لا يستحقها؟

وإما أن تقول: أن صاحب الكبيرة. مؤمن على ما تقوله المرجئة. والكلام عليه أن نقول: ما تريد به؟ أتريد به: أن حكمه حكم المؤمن فى المدح والتعظيم والموالاة من الله تعالى. أم تريد: أنه يسمى مؤمنًا؟ فإن أردت به الأول، فذلك لا يصح، لأنه خرق إجماع مصرح فكأننا نعلم من حال الصحابة، وخاصة من حال على بن أبى طالب - عليه السلام - أنهم كانوا لا يعظمون صاحب الكبيرة، ولا يوالونه فى الله عز وجل - بل يلعنونه ويستخفون به.

ولهذا فإن أمير المؤمنين - على بن أبى طالب عليه السلام - كان يقول فى قنوته: اللهم العن معاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمى، وأبا موسى الأشعرى.

وإن أردت به الثانى فذلك لا يصح أيضًا. لأن قولنا: «مؤمن فى الشرع اسم لمن يستحق هذه الأحكام المخصوصة، فكيف يجرى على من لا يستحقها؟».

ومن ذلك نلاحظ أن المعتزلة لا تحكم على المسلم العاصى مرتكب الكبيرة

بالكفر بل تلقبه بلقب الفاسق. أو فى منزلة بين المنزلتين وقال أهل السنة إن مرتكب الكبيرة لأنه يقر بوجدانية الله ونبوة الرسول ﷺ فإننا لا نحكم عليه بالكفر وهذا ما نقول به لأن تكفير المؤمن بغير دليل ظاهر من الشرع كفر.

وقد اتضح لنا أن الذى دفعهم إلى القول بتكفير المسلم العاصى الذى لم يتب فهمهم غير الصحيح لبعض آيات القرآن مثل قوله تعالى ﴿إنّا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا﴾ [الإنسان: ٣] وقوله تعالى ﴿هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ التغابن: ٢.

وقوله تعالى ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧] وقوله ﴿إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله﴾ [النحل ١٠٥]. وقوله ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ [آل عمران: ٩٧].

وأيضًا يعود إلى عدم فهمهم بدقة معنى كثير من الأحاديث النبوية مثل قول رسول ﷺ لأبى ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية» البخارى جـ١ ص ١٢، جـ٨ ص ١٤.

وقوله ﷺ «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[١]. وقوله: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٢].

وقوله ﷺ «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[٣].

---

(١) أبو داود بنحوه جـ٢ ص ٢٦، والترمذى بنحوه رقم ٢٧٥١. وقال حديث حسن صحيح.

(٢) البخارى جـ١ ص ١٥، جـ٨ ص ١٣، ومسلم جـ١ ص ١٥٣، والترمذى حديث رقم ٢٧٧٢ وقال حديث حسن صحيح.

(٣) البخارى جـ٣ ص ١١٨، جـ٨ ص ١٣٧ ومسلم جـ١ ص ٢٤١ وأبو داود جـ٢ ص ٤٧٠ والترمذى رقم ٢٧٦٠ بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب.

وقوله ﷺ «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر»[١].

والحق أنه ليس فيما سبق من نصوص قرآنية كريمة ونصوص حديثية شريفة دليل صريح على كفر مرتكب الكبيرة.

فما استدلوا به من الآيات والأحاديث، محمول على من استحل شيئًا من الكبائر أو جحد أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة كالصلاة والحج بعد استيفاء شروطها. أو أن المراد صار مشابهًا للكفار فى أفعالهم وإن ظل فى عداد المسلمين كمن يتولى الكفار، أو يتغلب عليه اليأس من روح الله، أو يفترى الكذب. إذ أن المؤمن الحق لا ينبغى عليه أن يأتى بشىء من ذلك.

ومعنى وجود بعض خصال الجاهلية فى تصرفات الإنسان وأفعاله، لا يقتضى ذلك تكفيره أو خروجه من الدين السمح الحنيف، وإلّا حكم رسول الله ﷺ على أبى ذر بالكفر، وطالبه بالعودة إلى الإسلام لمجرد أنه ضرب عبده أو أساء إليه ولم يحكم أحد من العلماء بتكفير من ضرب عبده.. وقد أكد ذلك البخارى فى صحيحه حيث قال: باب المعاصى من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، لقول النبى ﷺ «إنك امرؤ فيك جاهلية». وقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[٢].

وترك الصلاة، وقتال المسلم، لا يكفر إلّا من استحل فعلها، ولم ير فى ذلك تهاونًا فى حق الدين. أما عن قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» فذلك محمول على استحقاق الدخول: أى لا يستحق دخول الجنة وإن دخلها فبعفو الله تعالى ومغفرته، أو لا يدخلها مع المتقين، أو مع غير المتكبرين، أو لا يدخلها إلا بعد أن يلقى جزاءه على

(١) مسلم جـ١ ص ٢٨٤ - وأبو داود بنحوه جـ٢ ص ١٨١. والترمذى حديث رقم ٢٠٦٦ وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه جـ٢ ص ٢٨٢.

(٢) صحيح البخارى جـ١ ص ١٩.

الكبر ويرى ابن قتيبة أن الكلام هنا خرج مخرج الحكم.. أى ليس حكم من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أن يدخل الجنة كما تقول فى دار صغيرة لا يدخلها أمير - أى حكمها كذلك. ويجوز أن يدخلها الأمير - أى جريًا على غير العادة[١].

والله تعالى يقول ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾. [النساء: ٤٨].

ومما يوضح لنا أن المسلم لا يكفر بالمعاصى والكبائر قول الله تعالى: ﴿قل يا عبادى الذى أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣] أى ما عدا الشرك الذى بينت آية النساء السابقة أن الله لا يغفره. قال الإمام النووى رضى الله عنه: «واعلم أن مذهب أهل الحق أن لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب»[٢].

وإننا نلاحظ أن رسول الله ﷺ لم يحكم على مرتكب الكبيرة بالكفر، بل اكتفى بإقامة الحد الشرعى عليه كما فى رجم الزناة.

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١١٧.

(٢) شرح مسلم جـ١ ص ١٧٠.

مناقشة رأى الخوارج

فى قولهم أن مرتكبى الكبائر مخلدون فى النار

عرفنا من قبل أن مرتكب الكبيرة عند الخوارج إذا لم يتب من ذنبه فهو كافر. ولقد حكموا عليه أيضًا بالخلود فى النار لكفره. وطبقًا لفهمهم الخاص لبعض آيات القرآن الكريم حكموا على العاصين بالخلود فى النار. واستندوا فى ذلك إلى قول الله تعالى ﴿بلى من كَسبَ سيئةً وأحاطت به خطيئتهُ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ٨١ - البقرة.

والحق أنه كما يقول الفخر الرازى فى تفسيره[1] «اختلفت أهل القبلة فى وعيد أصحاب الكبائر، فمن الناس من قطع بوعيدهم وهم فريقان، منهم من أثبت الوعيد المؤبد وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج ومنهم من أثبت وعيدًا منقطعًا وهو قول بشر المريسى، ومن الناس من قطع بأنه لا وعيد لهم وهو قول شاذ ينسب إلى مقاتل بن سليمان المفسر، والقول الثالث أنا نقطع بأنه سبحانه وتعالى يعفو عن بعض المعاصى، ولكنا نتوقف فى حق كل أحد على التعيين أنه هل يعفو عنه أم لا ، ونقطع بأنه تعالى إذا عذب أحدًا منهم مدة فإنه لا يعذبه أبدًا بل يقطع عذابه، وهذا قول الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وأكثر الإمامية».

ويقول الأشعرى عن موقف الشيعة «اختلفت الروافض فى الوعيد، وهم فرقتان. فالفرقة الأولى منهم: يثبتون الوعيد على مخالفيهم، ويقولون: إنهم يعذبون، ولا يقولون بإثبات الوعيد فيمن قال بقولهم، ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها، ورووا فى أئمتهم: أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصى، سألوا الله فيهم فصفح عنهم،

(١) التفسير الكبير للرازى جـ٣ ص ١٤٤ ص ١٤٥.

وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه، وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم.

الفرقة الثانية منهم: يذهبون إلى إثبات الوعيد، وأن الله عز وجل يعذب كل مرتكب الكبائر من أهل مقالتهم كان أو من غير أهل مقالتهم ويخلدهم فى النار..[1] والحقيقة أنه إذا كان موقف جمهور المعتزلة والخوارج فى إثبات الوعيد المؤبد قريب إلى حد ما إلا أن المعتزلة يقولون بقاعدة تسمى «الإحباط والتكفير» ومعناها: أن الملكف إذا فعل طاعات وفعل معاصى وآثامًا. فإذا كانت الطاعات أكبر من المعاصى والآثام سقط عن المكلف جزاء المعاصى والآثام وإذا كانت المعاصى والآثام أكبر من الطاعات سقط عن الملكف جزاء الطاعات. ويستندون فى ذلك إلى قول الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧] ولقول الله تعالى ﴿فأما من ثقلت موازينه. فهو فى عيشةٍ راضية. وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ [الزلزلة: ٩٦] وإذا دخل الطائع الجنة وطاعاته أكبر من معاصيه داخل فى درجةٍ على مقدار طاعاته، ولا يخرج من الجنة أبدًا. وإذا دخل العاصى النار ومعاصيه أكبر من طاعاته دخل فى دركةٍ على مقدار معاصيه، ولا يخرج من النار أبدًا» لحديث رسول الله ﷺ «يا أهل الجنة خلود بلا موت» ولدلالة الآيتين: ﴿فإما من ثقلت موازينه﴾ ﴿وأمّا من خفت موازينه﴾ ولا نعى إلا على الثقل والخفة والخلود من أجلهما.

والشىء الذى يختلف فيه المعتزلة. مسألة إذا تساوت طاعات المكلف ومعاصيه. فما جهة الحكم؟ على من تساوت طاعاته ومعاصيه؟ لقد اتفقوا على أن المساواة لا تحصل البتة؟ ثم اختلفوا فى جهة الحكم، فعند أبى على أن جهة الحكم هى العقل والسمع. وعند أبى هاشم: أن جهة الحكم هى السمع فقط ويشرح ذلك القاضى عبد الجبار فيقول[2]: «فإن قيل: فما قولكم فيمن استويا فى حقه. أكان يجب أن يثاب ويعاقب دفعة واحدة؟ قيل له: إنهما

(١) مقالات ص ١٢٦.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٦٢٣.

لا يستويان ولا خلاف فى ذلك بين أبى على وبين أبى هاشم، وإنما الخلاف فى أن ذلك يعلم عقلًا وسمعًا، أو لا يعلم إلا سمعًا.

فعند أبى على: «أن ذلك يعلم عقلًا وسمعًا. وقال أبو هاشم: لا يعلم إلا سمعًا. فإن الأمة أجمعت على أن لا دار غير الجنة والنار، فلو تساوت طاعات المكلف ومعاصيه، لكان لا يخلو من أحد أمرين، فإما أن يدخل النار وذلك ظلم وإما أن يدخل الجنة، ثم لا يخلو حاله، وقد دخل الجنة، إما أن يثاب وذلك لا يجوز، لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح، وإما أن يتفضل الله عليه كما تفضل على الأطفال والمجانين وذلك مما لا يصح أيضًا. وقد اتفقت الأمة: على أن المكلف إذا دخل الجنة فلابد من أن يميز حاله من حال الولدان المخلدين، وعن حال الأطفال والمجانين، فليس إلّا أن نقطع أنه لا تتساوى طاعات المكلف ومعاصيه».

ويختلفون أيضًا فى مسألة «العوض»[1] فهل العوض على سبيل الدوام، وهل التسوية حاصلة بين العوض والثواب، وهل الإحباط والتكفير يدخل فى العوض أم لا يدخل ويهمنا فى هذا الأمر تفسير قاضى القضاة عبد الجبار ابن أحمد المعتزلى حين يتحدث عن الإحباط والتكفير فيقول[2]: «إعلم أن المكلف لا يخلو، إما تخلص طاعاته ومعاصيه أو يكون قد جمع بينهما. وإذا كان قد جمع بينهما فلا يخلو، إما أن تتساوى طاعاته ومعاصيه، أو يزيد أحدهما على الآخر فإنه لابد من أن يسقط الأقل بالأكثر، وإن شئت أوردت ذلك على وجه آخر فقلت:

إن المكلف لا يخلو، إما أن يستحق الثواب أو أن يستحق العقاب من كل واحد منهما قدرًا واحدًا، أو يستحق من أحدهما أكثر مما يستحق من الآخر. فإن الأقل لابد من أن يسقط بالأكثر ويزول. وهذا هو القول بالإحباط والتكفير على ما قاله المشايخ.

(١) ومعناه: أن الله تعالى يعوض الناس مثلًا إذا فعلوا خيرًا فى الدنيا أن يعوضهم عن ذلك الجنة أو غير ذلك من الأعواض والحسنات فى الآخرة.

(٢) شرح الأصول الخمسة: ص ٦٢٣ - ص ٦٢٤.

وقد خالفنا فى ذلك كثير من المرجئة، وعباد بن سليمان الصيمرى، فإن مذهبه: أن العقوبة لا تزول إلا بالتوبة.

فأما كثرة الطاعات فمما لا تأثير لها فى ذلك، غير أنه يثبت مزية لمن خلط الطاعات بالمعاصى، لا يثبتها لمن خلصت معاصيه.

ويقص القاضى عبد الجبار خلافًا فى مسألة الإحباط والتكفير بين الشيخين المعتزلين الكبيرين أبى على وأبى هاشم فيقول[1]: «فإن قيل: إذا كان الشيخان لا يختلفان فى وقوع الإحباط والتكفير، ففى أى موضع اختلفا فى هذه المسألة قلنا فى موضعين أحدهما [الموازنة][2] والآخر أن الإحباط والتكفير إذا وقعا، وقعا فى الطاعة والمعصية، لأنهما اللذان يصح أن يؤثر أحدهما فى الآخر، دون الثواب والعقاب اللذين لا يوجدان معًا حتى يصح تأثير أحدهما فى الآخر. وقال أبو هاشم:لا. بل يقعان فى الثواب والعقاب قال: وذلك لأن الذى أوجب القول فى الإحباط والتكفير هو امتناع الجمع بينهما للمنافاة، والذى امتنع الجمع بينهما إنما هو الثواب والعقاب، حيث كان أحدهما مستحقًا على سبيل التعظيم والإجلال، والآخر على سبيل الاستحقاق والنكال دون الطاعة والمعصية. فمعلوم أن الجمع بينهما ممكن غير متعذر، فيجب أن لا يقع الإحباط والتكفير إلّا فى المستحقين على ما ذكرته.واختلفوا أيضًا فى الموازنة. فمن مذهب أبى على: أنه يحسن من الله تعالى أن يفعل به فى كل وقت عشرين جزءاً من العقاب. ولا يثبت لما كان قد استحقه على الطاعة التى أتى بها تأثير، بعدما ازداد عقابه عليه وقال أبو هاشم: لا بل يقبح من الله تعالى ذلك ولا يحسن منه أن يفعل به من العقاب إلّا عشرة أجزاء. فأما العشرة الأخرى فإنها تسقط بالثواب الذى قد استحقه على ما أتى به من الطاعة. وهذا هو الصحيح من المذهب المعتزلى».

والحقيقة أنه إذا كان قول الخوارج وقول المعتزلة فى الوعيد واحدًا

(١) شرح الأصول الخمسة: ص ٦٢٧ إلى ص ٦٢٩ باختصار.

(٢) الموازنة: وصورتها أن يأتى المكلف بطاعة استحق عليها عشرة أجزاء من الثواب، وبمعصية استحق عليها عشرين جزءاً من العقاب.

ومتشابهًا إلى حد كبير «لأنهم يقولون إن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم فى النار خالدون فيها مخلدون، غير أن الخوارج يقولون: إن مرتكبى الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين، والمعتزلة يقولون: إن عذابهم ليس كعذاب الكافرين»[1].

والواقع أننا نقول إن مرتكب الكبيرة من أهل القبلة ليس بكافر ولا يعذب عذاب الكافرين ولا يخلد فى النار.

لأن هناك أحاديث صحيحة صريحة تؤكد هذه الحقائق من ذلك قول رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: ﴿أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان﴾ فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا [المطر] أو الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»[2].

وروى أنس عن النبى ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير».. وفى رواية «من إيمان»[3].

وروى مسلم فى صحيحه بسنده - عن أبى ذر قال: أتيت النبى ﷺ وهو نائم، عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلست إليه، فقال: ما مِن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة.. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق.. قلت: وإن زنى وإن سرق؟.. قال: وإن زنى وإن سرق (ثلاثًا). ثم قال فى الرابعة: على رغم أنف أبى ذر.. قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبى ذر[4].

(١) مقالات: ص ٢٠٤.

(٢) رواه البخارى جـ١ ص ١٠.

(٣) رواه البخارى جـ١ ص ١٤. والترمذى حديث رقم ٢٧٢٠.

(٤) شرح مسلم جـ١ ص ٢٨٦.

ولأدل على رأينا ما ذكر فى شأن شفاعة رسول الله ﷺ وأن هذه الشفاعة تشمل كل من مات موحدًا.

ففى حديث أبى هريرة رضى الله عنه.. «.. ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز [أى يمضى عليه ويقطعه] ولا يتكلم يومئذ إلّا الرسل. ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السَّعدان [نبات له شوك عظيم من كل الجوانب].. هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله. تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن، بقى بعمله. ومنهم المجازى حتى ينجى، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، يأمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله ممّن أراد الله تعالى أن يرحمه ممّن يقول:

«لا إله إلا الله، فيعرفونهم فى النار.. يعرفونهم بأثر السجود.. تأكل النار من ابن آدم إلّا أثر السجود.. حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا [احترقوا]، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منها كما تنبت الحبة فى حميل السيل [أى ما يجىء به السيل من طين وغرين. والتشبيه فى سرعة النمو وحسن المنظر وطراوة الجسم]. ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولًا الجنة فيقول: أى رب: اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى [آذانى وأهلكنى أو غير صورتى] ريحها وأحرقنى ذكاؤها [لهيبها].. فيدعو الله ما شاء الله يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: (هل عسيت أن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره، فيقول لا أسألك غيره) ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء له أن يسكت ثم يقول: أى رب: قدمنى إلى باب الجنة.. فيقول الله له:)أليس قد أعطيت عهدك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيك، ويلك يا ابن آدم.. ما أغدرك) فيقول: أى رب، ويدعو الله حتى يقول له: (فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره، فيقول: لا - وعزتك) فيعطى

ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت [انفتحت] له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أى ربّ أدخلنى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم.. ما أعذرك.. فيقول: أى رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمن، فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله ليذكره من كذا وكذا.. حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله تعالى: ذلك لك ومثله معه - قال عطاء بن زيد، وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة. لا يرد عليه [أى أنه وافقه فيما رواه] من حديثه شيئًا، حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل: ومثله معه.. قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: ذلك لك ومثله معه.

.. قال أبو سعيد: أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ - قوله: ذلك لك وعشرة أمثاله - قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا[1]».

ومن هذا كله يتضح لنا أن المؤمن لا يخلد فى النار - كما يرى الخوارج والمعتزلة الذين اعتبروا أن مرتكب الكبيرة لا يعد مؤمنًا وإن كان يعد مسلمًا، لكنه يخلد فى النار ما لم يتب توبة نصوحًا ويكون عذابه أخف من عذاب من لم يؤمن بالله ورسوله.

ذلك أن الخوارج والمعتزلة يعدون العمل جزءًا من الإيمان، والأشاعرة والماتريدية لا يعدون العمل جزءًا من الإيمان، ولذلك لا يخرج عن حظيرة الإيمان من يرتكب المعاصى، وإن كان له حساب وعقاب وقد يتغمده الله برحمته. ولهذا فإن الماتريدى[2] يرى أن مرتكب الكبيرة لا يخلد فى النار

---

(١) رواه البخارى جـ٨ ص١٠١ - ومسلم بشرح النووى جـ٣ ص٢٠ و٢٥.

(٢) يقول الماتريدى: «إن الله تعالى قد بيّن فى القرآن الكريم أنه لا يجزى على السيئة إلّا بمثلها فقال تعالى ﴿من جاء بالسيئة فلا يجزى إلّا مثلها وهم لا يظلمون﴾ ولا شك أنّ من لا يكفر بالله ولا يشرك به يكون ذنبه دون ذنب الكافر والمشرك، وقد جعل الله تعالى التخليد عقوبة الشرك والكفر،=

ولو مات من غير توبة. كذلك دلت نصوص الكتاب والسنة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب كما يقول ابن تيمية نذكرها بإيجاز[١].

أحدها: التوبة لقول الله تعالى ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾.

الثانى: الاستغفار لقول الرسول «ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم مائه مرة» فإن هذا الاستغفار إذا كان مع التوبة مما يحكم به، عام فى كل تائب، وإن لم يكن مع التوبة فيكون فى حق بعض المستغفرين الذين قد يصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الذنوب.

الثالث: الحسنات الماحية يقول تعالى: ﴿أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ وقال صلى الله عليه وسلم «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» وقال «الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفى الماء النار، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

الرابع: الدافع للعقاب: دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من

= فلو عذب صاحب الكبيرة مع وجود التصديق مثل عذاب الكافر، لكانت عقوبته زائدة على قدر ذنبه وهذا خلف فى الوعد، والله لا يظلم العباد ولا يخلف الوعد، ثم المساواة فى الجزاء بين الكافر والمؤمن العاصى مما يخالف حكمة الله تعالى وعدله، لأن المؤمن العاصى قد جاء بما هو أعظم الخير وهو الإيمان، ولم يأت بأقبح الشر وهو الكفر، فلو خلده الله فى النار أبدًا لجعل جزاء أقبح الشر بدل ثواب أفضل الخيرات.. ومقتضى العدل والحكمة الجزاء بالمثل لا بالزيادة إلا فى الثواب».. والحق فى أصحاب الذنوب من المؤمنين تفويض أمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنهم فضلًا منه وإحسانًا ورحمة، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، فلا يخلدون فى النار. فيكون أهل الإيمان بين الرجاء والخوف، فيجوز له تعالى العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة كما قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثمًا عظيمًا﴾ صدق الله العظيم».

(١) الإيمان الأوسط لابن تيمية ص ٢٩: ص ٤٢ باختصار نقلا عن قواعد المنهج السلفى للدكتور مصطفى حلمى ص ١٨٩، ص ١٩٠.

ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون إلا شفعوا فيه».. وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه» رواهما مسلم.

الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة، ونحوها فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)

السادس: شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وغيره فى أهل الذنوب يوم القيامة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى».

السابع: المصائب التى يكفر الله بها الخطايا فى الدنيا كما فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولاهم ولا حزن ولا غم ولا أذى - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفر الله بها من خطاياه».

الثامن: ما يحصل فى القبر من الفتنه والضغطة والروعه، فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

التاسع: أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

العاشر: رحمة الله تعالى وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد. ومن ذلك كله يتضح لنا مدى خطأ الخوارج ومن نحانحوهم فى قولهم أن مرتكب الكبيرة لا يعد مؤمنا وأن كان يعد مسلما لكنه يخلد فى النار ما لم يتب توبة نصوحا ويكون عذابه أخف من عذاب من لم يؤمن بالله ورسالة نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك أن رحمة الله واسعة وأبواب عفوه وغفرانه كثيرة وعقوبة الذنوب تزول عن العبد بطرق كثيرة أشرنا إليها ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم [٥٣: الزمر] صدق الله العظيم.

مناقشة الخوارج فى قولهم بأن الإمامة والخلافة ليس بلازم أن تكون فى قريش

من المعروف أن الخوارج يرون أن الإمامة والخلافة ليس بلازم أن تكون فى قريش بل يجوز أن يكون الإمام من قريش أو من غيرها[1]. والخوارج يرون

---

(١) خالف الخوارج فى ذلك أهل السنّة القائلين بأن الخلافة فى قريش، والشيعة القائلين بتعيين الخلافة فى بيت علىّ وآله.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن طرق اختيار الخلفاء فى الإسلام قد تم عن طريق الانتخاب المباشر وعن طريق العهد لمن بعد الخليفة، وطريقة ترشيح عدد من الأكفاء يختار من بينهم واحدًا فطريق اختيار أبى بكر الصديق الانتخاب المباشر من المهاجرين والأنصار فى سقيفة بنى ساعدة.

والطريقة الثانية طريقة العهد لمن بعده. وقد حصل ذلك فى انتخاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لاختيار أبى بكر له، وأخذه البيعة له من الناس. والطريقة الثالثة أن يرشح الخليفة عددًا يختارون – هم – من بينهم واحدًا يبايعه الناس وذلك الذى فعله الخليفة عمر بن الخطاب. وبهذا تم اختيار عثمان بن عفان رضى الله عنه من بين الستة الذين رشحهم عمر رضى الله عنه. والحقيقة أنه لم يرد نص أو دليل قاطع إلى من يكون الخليفة بعد رسول الله ﷺ سوى إشارة إلى أن النبى ﷺ أمر «أبا بكر» بأن يؤم المسلمين والرسول ﷺ فى مرض موته فاتخذ بعض المسلمين من هذا إشارة إلى إمامته العامة للمسلمين وقالوا: «لقد رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا» ولأن أمور الدنيا وسياستها غير أمر العبادة فالإشارة لم تكن كافية وإن كانت تحمل الإرهاصة لرضى الرسول ﷺ عن الخليفة أبى بكر الصديق.

وإن القرآن الكريم كما يقول الشيخ أبو زهرة فى «تاريخ المذاهب الإسلامية جـ١ ص٢٤ وص ٢٥»: قد وضع للحكم الإسلامى أصولاً ثلاثة وهى: العدالة، والشورى، والطاعة لأولياء الأمر فيما أحب المؤمن وكره. إلّا أن يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

وإن الآيات الدالة على «العدل» ثابتة قائمة لا مجال للشك فى دلالتها القوية القاطعة. وأما «الشورى» فقد أمر بها النبى ﷺ، وهو الذى كان يخاطب من السماء ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحى يوحى، علمه شديد القوى﴾، وقد قال تعالى فى أمر النبى بالشورى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ وجعل الشورى أصلا عامًا لكل شؤون المسلمين فيما لا يرد فيه نص، فقال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ و «الطاعة» قد ثبتت بنص القرآن الكريم فقد قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون =

أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير فليس يصح أن يتنازل أو يحكم ولا يرون إمامة الجائر.

وقد استدل الخوارج على قولهم بعدم اشتراط الإمامة فى قريش بذكرهم بأن القرآن الكريم لا يشير إلى إمام من قبيلة خاصة أو نسل خاص، بل يشير إلى طاعة ولىّ الأمر إذا أمر بشرع الله تعالى وحكم وعدل. ومن آيات القرآن الكريم قوله تعالى ﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نِعما يعظكم به. إن الله كان سميعًا بصيرًا. يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ النساء ٥٨ - ٥٩. ووجه الاستدلال عند الخوارج: أن الله تعالى أمر أن يحكم الحاكم بالعدل ولم يشترط أن يكون الحاكم من نسل معين، أو من قبيلة خاصة، وأمر بطاعة ولىّ الأمر ولم يشترط أن يكون من قريش أو من غير قريش. وقال الخوارج: إذا قال غيرنا بأن قول الرسول ﷺ «الأئمة من قريش» مخصص لعموم النص القرآنى

= بالله واليوم الآخر﴾. ولقد قال النبى ﷺ: «على المرء المؤمن السمع والطاعة إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة». وبهذه الأصول الثلاثة بينت الشريعة الدعائم التى يقوم عليها الحكم الاسلامى، وإن الشورى التى هى أساس الاختيار للحاكم ومراقبة سلطانه ومدى ما له من حقوق - تختلف باختلاف البيئات والشعوب والأحوال العارضة للناس - فتعيين طريق خاص لها غير سائغ ولا مقبول ولذلك لم يعين النبى ﷺ لها طريقًا خاصة ولا نظامًا ثابتا، لاختلاف أمثل النظم باختلاف الشعوب. وليس الحاكم المختار اختيارًا شوريًا مطلقًا فى حكمه بل هو مقيد أوّلا بالأحكام الدينية، وأن تنفيذها أول مقاصد الحكم، وهو ثانيًا مقيد بالشورى، فلا بد أن يكون بجواره من يشير عليه. بل من يلزمه جانب الصواب.

ويرى القرطبى فى تفسيره للآية ٣٠ من سورة البقرة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ أن شروط الإمامة أن يكون قرشيًا، وأن يكون ممّن يصلح أن يكون قاضيًا مجتهدًا، لا يحتاج إلى غيره فى الاستفتاء فى الحوادث. وأن يكون ذا خبرة ورأى حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش، وحماية البيضة، وردع الأمة والانتقام من الظالم، وأن يكون ممّن لا تلحقه رقة فى إقامة الحدود، ولا فزع من ضرب الرقاب، وأن يكون حرا، مسلمًا، ذكرًا، وأجمعوا على أن المرأة لا يجوز أن تكون إمامًا، وأن يكون سليم الأعضاء، بالغًا، عاقلا وأن يكون عدلا».

السابق، ومفيد للعموم المستفاد منه، قلنا [أى الخوارج]: «قد يلزمنا قولكم إذا لم يرد على الرسول ﷺ ما يوافق النص القرآنى السابق، أما وقد روى عنه ما يدل على أنه ليس بلازم أن يكون الإمام قرشيًا، فإن دليل التخصيص والتقييد غير ملزم لنا». لقد روى مسلم فى صحيحه: عن أم الحصين - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أمر عليكم عبد مجدع، يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا».

وفى الحديث أيضًا: «وإن تأمّر عليكم عبد حبشى» وأيضًا: «ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع. فإن جاء آخر ينازعه، فاضربوا عنق الآخر»[1] فإن قول رسول الله ﷺ: «ومن بايع إمامًا» يدل على أى إمام عادل سواء كان قرشيًا أو غير قرشى[2].

والحقيقة أنه بالنسبة للسمع والطاعة للعبد المجدع الأطراف.. فقد قيل «إن ذلك فى غير الإمام من الحكام جمعًا بين الأدلة.. أو يقال: إن ذلك فيما إذا تغلب غير القرشى على القرشى.. فتقدم مصالح المسلمين ورعاية أمرهم واستمرار أمنهم على مراعاة هذا الشرط وكأنه قال: الإمامة فى قريش، ما لم يمنع من ذلك مانع من غلبة غيرهم عليها، وسيطرتهم على شؤون الحكم، وضاعت عصبيتهم، ووهنت شوكتهم»[3]. والرسول ﷺ يقول «استقيموا

(١) رواه مسلم.

(٢) ردّ عليهم أهل السنّة والجماعة، والمعتزلة والشيعة، واتفقت آراؤهم على القول بوجوب أن يكون الإمام قرشيًا.

فالشيعة يرون أن الإمامة لا تخرج من أولاد علىّ وهو قرشى - وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

ومعظم المعتزلة أيضًا يقول قاضى القضاة عبد الجبار فى شرح الأصول الخمسة ص ٧٥١ وص ٧٥٣: «اعلم أن الإمام يجب أن يكون من منصب مخصوص، خلاف ما يحكى عن طائفة من الخوارج.. وإن المنصب المخصوص لابد من اعتباره لدلالة الإجماع، فإن أبا بكر لمّا ادعى بحضرة الجماعة: أن الأئمة من قريش لم ينكر عليه أحد».

وأهل السنة والجماعة قالوا إن حديث «الأئمة من قريش» حديث متواتر مخصص للعموم. وهو حديث صحيح على شرط البخارى.

(٣) شرح المقاصد للتفتازانى جـ٢ ص ٢٧٥.

لقريش ما استقاموا لكم»[١].

ويقول القاضى عياض «اشتراط كون الإمام قرشيًا مذهب العلماء كافة، وقد عدوها فى وسائل الإجماع ولم ينقل عن أحدٍ من السلف فيها خلاف، وكذلك من بعدهم فى جميع الأمصار، ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين»[٢].

وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم»[٣] وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان»[٤].

وعن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس تبع لقريش فى الخير والشر»[٥].

وروى الحاكم - بسنده عن علىّ - رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من قريش: أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها، ولكل حق فأتوا كل ذى حق حقه - وإن أمرت عليكم عبدًا حبشيًا مجدعًا فاسمعوا له وأطيعوا» وهذه نصوص عامة لم تقيد خلافة قريش إلّا بقيد الإسلام والمحافظة على الدين ولكن هناك نصوص حديثية أخرى قد قيدت هذه النصوص العامة فقيدتها بشرط إقامة الدين.

روى البخارى بسنده عن جبير بن مطعم، أنه بلغ معاوية، وغو عنده فى وفد من قريش، أن عبد الله بن عمرو يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب، فقام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال:

(١) رواه الطبرانى.
(٢) فتح البارى لابن حجر جـ ص ٢٣٦.
(٣) البخارى جـ٥ ص ١٤٣، ومسلم جـ١٢ ص ١٩٩.
(٤) البخارى جـ ٥ص ١٤٣، ومسلم جـ٩ ص٥٢. ومسلم جـ١٢ ص ٢٠١. بشرح النووى.
(٥) مسلم جـ١٢ ص ٢٠٠ بشرح النووى.

«أما بعد: فإنه بلغنى أن رجالًا منكم يحدثون أحاديث ليست فى كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ، وأولئك جهالكم، فإياكم والأمانى التى تضل أهلها، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر فى قريش، لا يعاديهم أحدٌ إلّا كبّه الله على وجهه، ما أقاموا الدين»[١].

ومعنى إقامة الدين نتلمسه فى حديث أبى برزة: روى أبو برزة قال: قال رسول الله ﷺ «الأمراء من قريش «ثلاثًا» - ما فعلوا ثلاثًا - ما حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا»[٢] وقال الإمام ابن حجر فى فتح البارى[٣] جاءت الأحاديث - أى فى حق الولاة من قريش - على ثلاثة أنحاء:

١ - وعيدهم باللعن إذا لم يحافظوا على المأمور به كما فى حديث الأمراء من قريش ما فعلوا ثلاثًا..».

وفيه: من لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٤] وليس فى هذا ما يقتضى خروج الأمر عنهم.

٢ - وعيدهم بأن يسلط عليهم من يبالغ فى أذيتهم: «أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق إلّا أن تعدلوا عنه فتلحون كما يلحى القضيب»[٥] [أى تلحون كما تلحى هذه الجريدة يشير إلى جريدة فى يده].

وليس فى هذا أيضًا تصريح بخروج الأمر عنهم وأن كان فيه إشعار به.

٣ - الإذن فى القيام عليهم وقتالهم، والإيذان بخروج الأمر عنهم: أخرج أحمد بسند جيد عن النبى ﷺ قال: «كان هذا الأمر فى «حمير»، فنزعه منهم

(١) البخارى جـ٥ ص١٤٣، جـ٩ ص٥٢.
(٢) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح خلا سكين بن عبد العزيز وهو ثقة.. مجمع الزوائد جـ٥ ص١٩٣.
(٣) فتح البارى جـ١٦ ص٢٣٣.
(٤) رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجال أحمد ثقات.. مجمع الزوائد جـ٥ ص١٩٣.
(٥) مسند الشافعى ص٩٤ وهو حديث مرسل عن عطاء بن يسار.

وصيره فى قريش وسيعود إليهم».

ومن أوضح الأحاديث الشريفة التى يستشم منها جواز الخروج عليهم إذا لم يستقيموا مع الدين، ما روى عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا لقريش ما استقاموا لكم، فإذا لم يفعلوا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم.. فإن لم تفعلوا فكونوا حينئذ زارعين أشقياء تأكلون من كدّ أيديكم[١] [أى أن الخنوع لهم إذا لم يستقيموا لا يتناسب مع عظمة الإسلام وعزة المسلمين وكرامتهم وهو سبيل إلى الانحلال والتدهور وهذا ما حدث بعد ذلك].

لكن فى حالة عدم وقوع ما يخرجهم عن إقامة الدين فالأمر لهم لحديث «الأئمة من قريش».

ولقد أصر عليه الصحابة فى إجماعهم مع أبى بكر على أن الأمر لا يكون إلا لهذا الحى «قريش»، واعتبر الخوارج مبتدعين فى قولهم بغير ذلك.. وقد روى البخارى عن معاوية أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين».

لكن الحق الذى نرتضيه أن هذه النصوص حين نجمعها مع الأثار الأخرى تدل على طلب الأفضلية لا طلب الصحة. لأنه روى فى الصحيحين عن أبى ذر أنه قال: «إنّ خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع، وإن ولى عليكم عبد حبشى مجدع الأنف» وإن النصوص فى مجموعها[٢] «لا تستلزم أن تكون الإمامة فى قريش وأنه لا تصح ولاية غيرهم، بل إن ولاية غيرهم صحيحة بلا شك، ويكون حديث «الأمر فى قريش» من قبيل الإخبار بالغيب كقول النبى ﷺ: «الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكًا عضوضًا». أو يكون من قبيل الأفضلية لا الصحة».

وقد اتفقت جميع الأمة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ولابد من إمام

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط ورجال الصغير ثقات مجمع الزوائد جـ٥ ص١٩٣.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية جـ١ ص٩١.

عادل يقيم أحكام الله إلا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم على الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتقاضوا الحق. فكان من مبادئ نجدة ابن عامر الحنفى[١] «لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتقاضوا فيما بينهم، فإن رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه، فأقاموه جاز»[٢].

وقد رد عليهم ابن حزم قائلًا «وقول هذه الفرقة ساقط. ويكفى من الرد عليه وإبطاله، إجماع كل من ذكرنا على بطلانه. والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام. من ذلك قول الله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩]. وقول الله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فوجب اليقين: بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم واحتمالهم.

وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته: أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم فى الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق، وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم وإنصاف المظلوم، وأخذ القصاص على تباعد أقطارها وشواغلهم، واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى فى كل ذلك: ممتنع، غير ممكن. إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم. إما لأنها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء، وإما خلافًا مجردًا عليهم. وهذا الذى لابد منه ضرورة. وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها. فإنه لا يقام هناك: حكم حق، ولا حد. حتى قد ذهب الدين فى أكثرها.

فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد، أو إلى أكثر من واحد إذ لابد من أحد هذين الوجهين، فإن الاثنين فصاعدًا بينهما أو بينهم ما ذكرنا: لا يتم أمر البتة، فلم يبق وجه تتم به الأمور، إلا الإسناد إلى واحد، فاضل عالم حسن السياسة، قوى على الإنفاذ، إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا، فالظلم

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٦٧ - ١٦٨.

(٢) قال الأشعرى: قال الناس كلهم إلا «الأصم»: لابد من إمام. وقال «الأصم»: لو تكاف الناس عن التظالم لاستغنوا عن الإمام» مقالات جـ٢: ص١٣٣.

والإهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدًا وإن ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم إن قدروا على كف كله، لزمهم ذلك، وإلا فكف ما قدروا على كف منه، ولو قضية واحدة»[١].

هكذا فإن أهل السنة والجماعة يقولون بوجوب نصب إمام، كما يقولون كذلك بأنه لا يجوز أن تخلو الأرض من إمام حتى يعقد لواحد. ويوافقهم فى ذلك الرأى المعتزلة والخوارج - عدا النجدات - والمرجئة. لكن الشيعة يقولون بأن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو متستر. والقاضى عبد الجبار يقول بأنه لا يخلو الزمان عن إمام لكن يفرق بين رأى المعتزلة ورأى الشيعة الإمامية فى ذلك فيقول:[٢] «إعلم أن من مذهبنا: أن الزمان لا يخلو عن إمام، ولسنا نعنى به أنه لابد من إمام متصرف فالمعلوم أنه ليس. وإنما المراد به: ليس يجوز خلو الزمان ممن يصلح للإمامة»[٣].

وتبقى مسألة أخرى وهى أن الخوارج يقولون بجواز الخروج على الإمام الجائر بالسيف «فالسيف: فإن الخوارج تقول به وتراه، إلا أن «الإباضية» لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور، ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأى شىء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف[٤].

ويقول الأشعرى اختلف الناس فى السيف على أربعة أقاويل:

١ - فقالت «المعتزلة» و «الزيدية» و «الخوارج» وكثير من «المرجئة»: ذلك واجب إذا أمكننا أن نزيل بالسيف أهل البغى ونقيم الحق. واعتلوا بقول الله تعالى ﴿وتعانوا على البر والتقوى﴾ المائدة: ٢. وبقوله ﴿فقاتلوا التى

(١) الفصل لابن حزم ص ٨٧ وص٨٨.

(٢) معنى ذلك أنه يختلف مع الشيعة فى قولهم بإمام غائب منتظر، له تصرف فى الكون، وإن كان غائبًا مستترًا.

(٣) كما نعلم فإن الإمامة عند الشيعة كما يقول ابن خلدون فى مقدمته «هى ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبى اغفالها وتفويضها، إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصومًا عن الكبائر والصغائر وأن عليًا بن أبى طالب هو الخليفة المختار - المنصوص عليه - من النبى ﷺ».

(٤) مقالات جـ١ ص١٨٩.

تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ [الحجرات: ٩]. واعتلوا بقول الله عز وجل: ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ [البقرة ١٢٤].

٢ - وقالت «الروافض» بإبطال السيف، ولو قُتلت، حتى يظهر الإمام فيأمر بذلك..

٣ - وقال «أبو بكر الأصم» ومن قال بقوله: السيفُ إذا اجْتُمع على إمام عادل يخرجون معه فيزيل أهل البغى».

٤ - وقال قائلون: السيف باطل، ولو قُتلت الرجال وسُبيت الذرية، وإن الإمام قد يكون عادلاً ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج على السلطان ولم يروه، وهذا قول أصحاب الحديث»[١].

ويقول الإمام القرطبى[٢]: «إذا نصب الإمام، ثم فسق بعد انبرام العقد. قال الجمهور: إنه تنفسخ لله إمامته ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم، لأنه قد ثبت أن الإمام إنما يقام لإقام الحدود واستيفاء الحقوق، وحفظ الأموال.. وقال آخرون لا ينخلع إلا بالكفر، أو بترك الصلاة، أو بترك شىء من الشريعة. لقوله ﷺ فى حديث عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق: أينما كنا، لا نخاف فى الله لومة لائم» متفق عليه وعن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون. فمن كره فقد برئ. ومن أنكر فقد سلم. ولكن من رضى وتابع. قالوا يارسول الله: ألا نقاتلهم؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة» رواه مسلم.

فطاعة الإمام مشروطة ومقيدة بما إذا لم يأمر بمعصية قال رسول الله ﷺ

(١) مقالات جـ٢ ص١٢٥.

(٢) تفسير القرطبى جـ١ ص٢٧١.

«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

وعن على رضى الله عنه قال: بعث النبى ﷺ سرية، وأمر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبى ﷺ أن تطيعونى؟.. قالوا: بلى. قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا، وأوقدتم نارًا، ثم دخلتم فيها.. فجمعوا حطبًا فأوقدوا. فلمّا هموا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض. قال بعضهم: إنما تبعنا النبى ﷺ فرارًا من النار، أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذكر للنبى ﷺ فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها أبدًا، إنما الطاعة فى المعروف»[١].. وفى رواية «لا طاعة فى معصية الله، إنما الطاعة فى المعروف»[٢].

ومع ذلك فإن أصحاب الحديث يرون أن الامتناع عن طاعة الإمام فى المعصية لا يبيح الخروج عليه أو إثارة القلاقل والفتن والثورات بين جماعة المسلمين بسبب معصيته أو أمره بالمعصية فالخروج على الأئمة يجب فقط إذا ارتدوا عن الدين أو منعوا من إقامة الشعائر كالصلاة ونحوها - أما ما عدا ذلك فالخروج عليهم عند أهل الحديث لا يجوز.

عن عبيدة بن الصامت - رضى الله عنه - قال: (دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة، فى منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله.. قال: «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهانًا»[٣].

وعن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ. قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم - قيل يارسول الله: أفلا ننابذهم

(١) البخارى جـ٩ ص٥٢ وص٥٣.
(٢) مسلم جـ١٢ ص٢٢٧ بشرح النووى.
(٣) مسلم جـ٢ ص٢٢٨، والبخارى جـ٩ ص٦٤ بنحوه.

بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة.. وإذا رأيتم من ولايتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا ولا تنزعوا أيدًا من طاعة»[١].

وفى حديث حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى، ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس.. قال قلت: كيف أصنع يارسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمعْ وأطع»[٢].

ولذلك فإنه حرصًا على وحدة الأمة وعدم اضطرابها وذيوع الإثارات والفتن فإن أصحاب الحديث لا يجوزون الخروج على الإمام مادام لم يخرج عن الدين ويرتد أو يعطل شعائره ويمنع من إقامتها كالصلاة. أما ما عدا ذلك فالخروج على الأئمة لا يجوز. وعندهم أن من يخرج على الأمة لغير هذين السببين [الارتداد عن الدين أو تعطيل شعائره] يعد مرتكبًا لمحرم لحديث رسول الله ﷺ.

«من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية»[٣].

وقال ﷺ[٤].

«من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات. فمات ميتة جاهلية.. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل. فقتلة جاهلية.. ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى

(١) الدارمى حديث رقم ٢٨٠٠، مسلم جـ١٢ ص٢٣٩ بشرح النووى.
(٢) مسلم جـ١٢ ص٢٣٩.
(٣) البخارى جـ٩ ص٥٢.
(٤) مسلم جـ١٢ ص٢٣٨ بشرح النووى.

من مؤمنها، ولا يفى لذى عهده، فليس منى ولست منه»[١].

وهكذا استطاع أصحاب الحديث أن يبينوا وجه الحقيقة فى مسألة الخروج على الإمام الجائر وفندوا بذلك رأى الخوارج الذين يجوزون هذا الخروج. ونحن نميل ميلاً قويًا إلى رأى أصحاب الحديث فى هذه المسألة.

(١) ولهذا فإن خروج الخوارج على عثمان ثم على علىّ رضى الله عنهما لم يكن خروجًا صحيحًا لأنهما رضى الله عنهما لم يرتدا عن الدين أو يعطلا شعائره.

نهاية المطاف

هكذا تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن من أهم مبادئ الخوارج حكمهم على من خالفهم بالكفر، وجواز قتله، كما حدث فى قتلهم لعبد الله بن خباب بن الأرت وغيره. وقولهم بتجويز الإمامة فى قريش وغير قريش، وإنكارهم تحكيم الرجال وادعائهم أنه كفر «ويجمعهم القول بالتبرى من عثمان وعلى رضى الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقًا واجبًا[١]. وهم يردون السنّة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزانى ولا يرون للسرقة نصابًا»[٢].

والحقيقة أن تطرف فكرهم أساء إليهم كثيرًا مما جعلهم يعجزون عن تحقيق مبادئهم وأفكارهم، فمثلاً مسألة تكفيرهم لعلى وعثمان وأصحاب الجمل جعلهم فى موضع العداء من المسلمين.

«وبسبب تكفيرهم مرتكبى الكبائر، انقسموا على أنفسهم أشد الانقسام فى كثير من المسائل الفقهية، واعتبرت كل فرقة ما عداها مارقة، وعاملت أنصارها معاملة الكفار فى استباحة الدماء واستحلال الأموال والذرارى»[٣].

والحقيقة أن إدراك الخوارج للنصوص الدينية كان إدراكًا ظاهريًا إلى حد كبير، كما كان إدراكًا سطحيًا إلى حد أكبر[٤] «وإن هذا الإدراك كان يصاحبه إخلاص لما عرفوه من الدين على حسب فهمهم له، وأن إخلاصهم لعقائدهم

(١) الملل والنحل للشهرستانى جـ١ ص١٠٦ تحقيق المرحوم الدكتور بدران.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٣ ص٤٨.
(٣) الرازى: اعتقادات فرق المسلمين ص٤٦.
(٤) تاريخ الفرق الإسلامية للدكتور الغرابى ص٢٩٦.

الدينية جعلهم ينكرون على كل من يخالف أمرًا من أمور الدين بحسب فهمهم وإدراكهم، وهذا الإنكار جعلهم يحكمون على مخالفيهم أحكامًا فيها قسوة، حيث إنهم يحكمون عليهم بالكفر أو بالشرك، فهم لم يعرفوا أن الكافر قد فقد جزأى الإيمان، وهما الاعتقاد والعمل، وأن من يرتكب أمرًا مخالفًا لأوامر الدين فقد هدم أحد جزأى الإيمان وعلى هذا لا يصح أن يسمى كافرًا، ولكن بأى تسمية تسميه الخوارج؟ إنهم لم يعرفوا تسمية تتناسب مع تلك الحال التى ليست إيمانًا كاملاً، ولا كفرًا مطلقًا، وإنما هى حالة وسطى بين هاتين المنزلتين، ولهذا لما جاء واصل بن عطاء وعرف رأيهم قال: إن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين منزلتى الإيمان والكفر، ويناسب تلك الحالة تسميته «بالفاسق».

ولقد لاحظنا بوضوح مدى الغلوّ فى فهم الدين لدى الخوارج مما جعلهم يتنكبون الطريق فيضلوا عن معرفة الحق. ولهذا روى أن عليًا رضى الله عنه أوصى أصحابه بألا يقاتلوا الخوارج من بعده لأن من طلب الحق فأخطأه ليس كمن طلب الباطل فناله، فعلىّ رضى الله عنه كان يعتبرهم طالبين للحق ولكن ضلوا وجانبوا طريق الحق. ويعتبر الأمويين طالبين للباطل ونالوه.

لكن هناك طائفتين من الخوارج جاءوا بمبادئ تعد خروجًا صريحًا على الإسلام.

وهما الميمونية أتباع ميمون العجردى الذى أباح نكاح بنات الأولاد، وبنات أولاد الأخوة والأخوات: وقال فى علة ذلك إن القرآن لم يذكرهن من المحرمات وفهم خطأً ظاهر النص القرآنى الشريف ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾.

كما روى عن الميمونية أيضًا إنكارهم سورة يوسف ولم يعدوها من القرآن الكريم، لأنها قصة حب وغرام فى زعمهم الباطل، فهى فى معتقدهم الخاطئ لا يصح أن تضاف إلى القرآن الكريم.

والفرقة الثانية من الخوارج التى خرجت خروجًا صريحًا على الإسلام هى اليزيدية أتباع يزيد بن أنيسة الخارجى وكان إباضيًا، ثم ادعى أن الله سبحانه

وتعالى سيبعث رسولاً من العجم ينزل عليه كتاب ينسخ شريعة محمد ﷺ.

وختامًا.. فقد أجهد الخوارج أنفسهم بتشددهم وغلوهم فى فهم الدين وساعدهم على ذلك تكوينهم النفسى المتقلب ومزاجهم، البدوى الرّبعى القاسى فخرجوا على الدنيا بمبادئهم المتشددة المذكورة.

وبعد.. فلا زلت مع العماد الأصفهانى حين يقول: «إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابًا فى يومه إلا قال فى غده:

لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

أحمدك ربى كثيرًا على سابغ نعمائك وعطاياك علىّ.. وأسألك الهداية والتوفيق، وأسألك الشكر على العافية والغنى عن الناس، وأسألك الجنة، وأن تجعل هذا العمل من العلم الذى ينتفع به، فينفعنى فى قبرى، وميزانى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فإن كنت قد وفقت فلله المنة والشكر، وإن كنت قد قصرت فإن الكمال لله وحده، ومنه استمد العون لدرك ما فاتنى، وهو الموفق والهادى سواء السبيل.

الفقير إلى الله تعالى

عامر النجار

أهم المراجع

- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى:** «فخر الدين محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦ هـ» نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٣٨ بمراجعة الدكتور النشار.
- **الإمامة والسياسة لابن قتيبة:** [عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ] طبعة القاهرة.
- **أنساب الأشراف للبلاذرى:** [أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٤٨ هـ] طبعة القاهرة ١٩٥٩.
- **بحوث فى العقيدة الاسلامية** للدكتور مصطفى حلمى دار الدعوة بالاسكندرية ١٩٨٤.
- **بحوث فى المعتزلة نيلينو:** [المستشرق الإيطالى كارلو الفونسو نيلنو ١٨٧٢ - ١٩٣٨] بحث بعنوان [بحوث فى المعتزلة] نشر ضمن مجموعة بعنوان التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ترجمة وجمع الدكتور عبد الرحمن بدوى الطبعة الثالثة ١٩٦٥.
- **البداية والنهاية لابن كثير:** [عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن عمر المتوفى ٧٧٤ هـ] - طبعة بيروت ١٩٦٦.
- **البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها:** للدكتور عزت على عيد عطية (رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٩٧٢).
- **تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة** (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ت ٢٧٦ هـ بضبط وتصحيح محمد زهدى النجار - نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
- **تاريخ الرسل والملوك للطبرى** [محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ] طبعة القاهرة ١٩٦٣.

- **تاريخ الجدل** للشيخ محمد أبو زهرة دار الفكر العربى ١٩٨٠.
- **تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين** للدكتور على مصطفى الغُرابى طبعة المكتبة الحسينية بالقاهرة ١٩٤٨.
- **تاريخ المذاهب الإسلامية** للشيخ محمد أبو زهرة طبعة دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧١.
- **التبصير فى الدين للإسفراييني**: [أبو مظفر الإسفراييني ٤٧١ هـ] طبع مطبعة الأنوار - ١٩٤٠، وطبعة القاهرة ١٩٥٥.
- **تفسير القرطبى [الجامع لأحكام القرآن]** [أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ت ٦٧١ هـ] طبعة دار الكتب المصرية.
- **تلبيس ابليس لابن الجوزى**: [عبد الرحمن بن أبى الحسن على ابن محمد المتوفى ٥٩٧ هـ] طبعة أنصار السنة.
- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى**: [أبى الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى - الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ] طبعة المثنى ببغداد.
- **الحركة الإباضية فى المشرق العربى** لمهدى طالب هاشم طبعة القاهرة ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.
- **الخوارج فى بلاد المغرب** للدكتور محمود إسماعيل عبد الرزاق طبعة الدار البيضاء.
- **الخوارج الحروريون** للدكتور أحمد حجازى السقا مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٠.
- **السير للشماخى**: [أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى ت ٩٢٨ هـ - القاهرة - طبع حجر].
- **سنن أبى داود** [سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى المتوفى ٢٧٥ هـ - طبعة التجارية بمصر].
- **شرح الأصول الخمسة** للقاضى عبد الجبار قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار - ابن أحمد بن الخليل بن عبدالله الهمدانى الأسدى أبادى

ت ٤٢٥ هـ] - تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم - تحقيق د. عبد الكريم العثمان نشر وهبة ١٩٦٥.
- **شرح جوهرة التوحيد للباجورى** طبعة القاهرة.
- **شرح مقاصد الطالبين للتفتازانى** [سعد الدين مسعود بن عمر ابن عبد الله الهروى الخراسانى] ت ٧٩٣.
- **صحيح البخارى [الجامع المسند الصحيح] للبخارى**: (أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن اسماعيل بن إبراهيم بن الأحنف يزدزبه البخارى ت ٢٥٦ هـ) طبعة الشعب.
- **صحيح مسلم** [الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ت ٢٦١ هـ طبعة الشعب.
- **الصديق أبو بكر** للدكتور محمد حسين هيكل طبعة دار المعارف بالقاهرة.
- **صون المنطق والكلام عن فنَىَ المنطق والكلام** للسيوطى: «جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطى ت ٩١١ هـ». نشر وتعليق الدكتور على سامى النشار - الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بالقاهرة.
- **فتح البارى شرح صحيح البخارى** لابن حجر العسقلانى. [أحمد بن على بن حجر ت ٨٥٢ هـ] طبعة الحلبى وطبعة مصطفى محمد.
- **فجر الإسلام ٣ج ١** للأستاذ أحمد أمين طبعة القاهرة ١٩٢٨.
- **الفرق بين الإباضية والخوارج** لأبى اسحق إبراهيم أطفيش الإباضى.
- **الفرق بين الفرق للبغدادى** [عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادى ت ٤٢٠ هـ] تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد رحمه الله نشر مكتبة صبيح.
- **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** لابن حزم الظاهرى الأندلسى المتوفى ٤٥٦ هـ طبعة القاهرة ١٣١٧ وطبعة السلام العالمية.
- **الكامل فى اللغة والأدب** للمبرد [أبو العباس محمد بن يزيد ت ٨٩٨ م] طبعة مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ.
- **الكامل فى التاريخ لابن الأثير** [محمد بن محمد بن عبد الكريم بعد

عبد الواحد الشيبانى المتوفى ٦٣٠ هـ] طبعة القاهرة ١٣٠٣ هـ.

- **كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى** [محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى] طبعة حيدر أباد ١٣٥٧ هـ.

- **اللباب فى تهذيب الأنساب** لابن الأثير طبعة القاهرة ١٣٥٧ هـ.

- **مجمع الزوائد للهيثمى:** [نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى ت ٨٠٧ هـ نشر القدس ١٣٥٣ هـ].

- **مجموع فتاوى ابن تيمية:** [أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت ٧٢٨] طبعة القاهرة.

- **مختصر كتاب الفرق بين الفرق للرّسعنى:** [عبد الرزاق ابن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرَّسْعنى]. طبعة مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤.

- **المستدرك: للحاكم:** [أبو عبد الله بن عبد الله بن محمد ابن حمدويه بن نعيم الضبى النيسابورى المتوفى ٤٠٥ ٣ه ط الهند.

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** [أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١ ٣ه] طبعة الحلبى بالقاهرة.

- **مفاتيح الغيب** لفخر الدين الرازى طبعة إحياء التراث العربى بالقاهرة.

- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعرى** [أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ت ٣٣٠ ٣ه] طبعة النهضة المصرية ١٩٥٠ م بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد.

- **الملل والنحل للشهر ستانى** [محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ ٣ه] طبعة القاهرة ١٩٥٦ وبهامش كتاب الفصل طبعة السلام العالمية.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار للمقريزى:** [تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥]. طبعة بولاق ١٢٧٠ ٣ه، القاهرة ١٣٢٤ ٣ه.

- **المنية والأمل لابن المرتضى:** (محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى المعروف بابن الوزير ت ٨٤٠ ٣ه) طبعة حيدر أباد ١٣١٦ ٣ه.

- **الموطأ للإمام مالك:** [الإمام مالك بن أنس المتوفى ١٧٩ ٣ه] طبعة الشعب.

- **نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية:** للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل القاهرة ١٩٧٢.

ملك جمعية
دار إسحاق إبراهيم الطيش
لخدمة التراث

الفهرست

المبحث الأول : مدخل وتمهيد ٧
أولاً : اختلاف المسلمين وأسبابه ٧
ثانيًا : كيف افترقت الأمة الإسلامية ١٣

المبحث الثانى : الخوارج فى السنة المطهرة ٣٥
المبحث الثالث : نشأة الخوارج وأهم صفاتهم ٤٥
المبحث الرابع : فرق الخوارج ٥٥
- العجاردة ٥٥
- الأزارقة ٦٢
- النجدات ٦٨
- الصفرية ٧٣

المبحث الخامس : مناقشة لأهم أفكار وآراء الخوارج فى ضوء الفكر الإسلامى الصحيح ٧٧
أهم المراجع ١١٧

كتب أخرى للمؤلف

التصوف النفسى	طبعة أولى – دار المعارف
الطرق الصوفية فى مصر	طبعة خامسة – دار المعارف
الطهارة فى الإسلام	طبعة رابعة – دار المعارف
فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية	طبعة ثالثة – دار المعارف
علم الكلام	طبعة أولى – دار المعارف
كتاب الصلاة	طبعة ثالثة – دار المعارف
حركة الترجمة وأهم أعلامها فى العصر العباسى	طبعة أولى – دار المعارف
نظرات فى فكر الغزالى	طبعة ثانية – دار المعارف
الإباضية ومدى صلتها بالخوارج	طبعة أولى – دار المعارف
الشيعة وإمامة على	طبعة أولى – دار المنار

تحت الطبع

- الدروز .. عقيدة وفكرًا .. وفلسفة
- الزكاة فى الإسلام

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٩١٩٥
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02 – 4738 – 3

٣٠ / ٩٤ / ٣
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

قرش جنيه
٦٩٥٠

١٢١٧٦١